حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري

فضيلة الدكتور/ عبدالله بن عبدالعزيز الزايدي[1]

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم أوضح لعباده في كتابه المبين سبل حماية الدين ووقاية المؤمنين من سعي المبطلين إلى إفساد الدين، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين وسيد الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله الطيبين ورضي الله عن أصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري هي أهم جوانب الحماية التي ينبغي أن تتجه إليها الأنظار ويعنى بها الباحثون، ويتصدى لها المسؤولون عن أمن المجتمع وسلامته .

ذلك أن صحة الفكر وسلامته وثباته على الحق من أهم الأمور المؤدية إلى استقرار المجتمع المسلم، والانحراف الفكري هو أخطر انحراف يقع في المجتمع المسلم للأسباب التالية :

---

(١) عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

أن الانحـراف الفكـري يترتـب علـيه مالا يترتب على غيره في حياة الفرد وآخرته .

فإن من أخطر صوره الانحراف العقدي المتمثل في الوقوع في الشرك الذي يترتب عليه حبوط العمل وعدم قبوله، ويترتب عليه تحريم الجنة واستحقاق النار قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ** ﴾[1] .

ومـن أمثلـته الـتي لا تزال موجودة في بعض المجتمعات المنتسبة للإسـلام الـتعلق بـالأموات وصـرف أنـواع مـن العبادة لهم كالدعاء والاسـتغاثة والـنذر والذبح وغيرها . ومن صور هذا الانحراف الواقع في هـذا العصـر، وقد اتسعت دائرة الانحراف الفكري في هذا العصر وتعددت صوره ولعل من أخطرها :

١ ـ السـعي لزعـزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسـلم وذلـك باستبعاد الوحي كمصدر للمعرفة أو تهميشه وجعله تابعـاً لغـيره مـن المصـادر كالعقل والإحساس، والسخرية من الإيمان بالغيـب و اعتـباره أسـاطير وخـرافات ، والسـعي لكسـر الحواجـز النفسية بين الإيمان والكفر .

٢ ـ غلـو بعـض شـباب الأمـة في الـتكفير ومـا ينـتج عـنه من أعمال العنف والقتل والتخريب .

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٢ .

٣ ـ خلخلة القيم الخلقية الراسخة في مجتمعات المسلمين : من الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود واحتساب الأجر واستبدال ذلك بقيم النفعية والنظر للمصلحة المادية دون سواها، والنفع والتحلل والإباحية .

٤ ـ رفع مصطلح الحداثة كلافتة إصلاحية بديلة لشعار التوحيد : لهدم القيم والثوابت وتلويث المقدسات وجعل ذلك إطاراً فكرياً للأعمال الأدبية .

٥ ـ استبعاد مقولة الغزو الثقافي واستبدالها بحوار الثقافات : لتخدير الأمة، وتسهيل ترويج مبادئ الفكر العلماني .

٦ ـ وصم منهج سلف الأمة في فهم الدين بالأصولية والتطرف والإرهاب الفكري .

٧ ـ تمييع قضية الحلال والحرام في المعاملات والأخلاق والفكر والسياسة ومحاولة فك الارتباط بين الدنيا والآخرة .

٨ ـ الترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب .

٩ ـ ظهور الضعف في التزام أصول الدين في العلاقة الفردية مع غير المسلمين ويتمثل ذلك في ضعف الولاء والبراء وذلك بمحبة الكفار والثناء عليهم وتمجيدهم والتشبه بهم في الهيئات وكثير من الأفعال التي تخالف الإسلام، وكذلك تجاوز الحد بالاعتداء على

المستأمنين والمعاهدين منهم .

١٠ ـ ضعف الاعتقاد بوجوب الحكم بما أنزل الله وتسويغ الحكم بغيره .

كما تظهر أهمية الموضوع من خلال ما يشاهد من سعي دؤوب من ملل الكفر، ولاسيما من لها الغلبة والقوة المادية لصرف المسلمين عن الاعتقاد الصحيح والفكر السليم، ودأب في محاولة إبعاد المسلمين عن الدين الحق إلى أديان الضلال والغواية وهي طبيعة مستمرة في الكفار .

تلك بعض الجوانب المؤكدة لأهمية الموضوع وضرورة العناية به .

منهج الباحث :

يعتمد الباحث المنهج التحليلي الوصفي المتضمن العرض والوصف والتحليل، مع الالتزام بضوابط البحث العلمي، ومن ذلك:

١ ـ عزو الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم .

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية تخريجا حسب القواعد والأصول المتبعة .

٣ ـ الاعتماد على القول الذي يسنده الدليل من الكتاب والسنة، متجنبا الخوض في الخلافات المذهبية، وإذا لزم الأمر ذكر الرأي المخالف فيبين ذلك حسب الأصول العلمية .

٤ ـ شرح المصطلحات والألفاظ الغريبة.

خطة البحث : المقدمة وتتضمن :

- أهمية البحث .
- منهج الباحث.
- خطة البحث.
- ضوابط الانحراف الفكري .

الفصل الأول : (منهج القرآن والسنة في حماية المجتمع من الانحراف الفكري)

المبحث الأول : تأصيل العقيدة الصحيحة وتثبيتها في النفوس بالدلائل والبراهين .

المبحث الثاني : دفع الشبهات .

المبحث الثالث : بيان فساد الأفكار الضالة والعقائد الباطلة وأسباب ذلك .

المبحث الرابع : بيان الأمور المفسدة للفكر والاعتقاد والنهي عنها . وفيه عشرة مطالب :

١- القول على الله بغير علم .

٢- الغلو والتفريط .   ٣- الابتداع .

٤- المراء في القرآن والخوض في آيات الله .

٥- اتباع المتشابه وترك المحكم .

٦- الاطلاع على كتب الضلال ثقة بها .

٧- الشكوك والشبه . ٨- مجالسة أهل الأهواء والبدع

٩- الإنكار والتكذيب . ١٠- الاستكبار .

المبحث الخامس : العقوبات الرادعة في الدنيا والآخرة .وفيه: تمهيد عن العقوبات الإلهية في الدنيا والآخرة لأهل الضلال، وخمسة مطالب هي :

١- عقوبة الردة ٢- عقوبة الساحر

٣- عقوبة الذهاب إلى الكهنة ٤- عقوبة الخوض في المتشابه

٥- التعزير .

الفصل الثاني : التطبيقات العملية للوقاية من الانحراف الفكري

المبحث الأول : في عهد النبي .

المبحث الثاني : في عهد الخلافة الراشدة .

المبحث الثالث : نماذج من التطبيقات العملية من قبل الأئمة المجددين من السلف (الأئمة الأربعة، شيخ الإسلام ابن تيمية، الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب) .

الفصل الثالث : سبل حماية المجتمع من الانحراف الفكري في العصر الحاضر

المبحث الأول : الأساليب العملية لعلاج الانحراف الفكري. وفيه ستة مطالب وهي :

١- الحكم بما أنزل الله في جميع جوانب الحياة .

٢- بناء المساجد وإقامة شعائر الله .

٣- إزالة مشاهد الشرك والبدع .

٤- حماية المجتمع من المؤثرات السلبية الداخلية والخارجية .

٥- القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث الثاني : الأساليب الوقائية: وفيه أربعة مطالب وهي:

١- العناية بتأصيل ونشر العقيدة الصحيحة في مختلف مجالات التوجيه والتعليم (المساجد، التعليم، الوسائل الإعلامية، التأليف والنشر) .

٢- منع المبطلين من نشر أفكارهم الضالة والتحذير منها والرد على أصحابها .

٣- رصد وسائل المبطلين في نشر مذاهبهم الضالة وعقائدهم المنحرفة .

٤ - بيان وكشف العقائد الباطلة والمذاهب والأساليب المسببة للانحراف الفكري والتصدي لها (وسائل التنصير النظرية) (وسائل التنصير العملية)، (وسائل أهل الأهواء في نشر مذاهبهم)

الخاتمة : وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات

تعريف الانحراف الفكري :

قبل الدخول في موضوع منهج الكتاب والسنة في حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري لابد من بيان حقيقة الانحراف الفكري وضوابطه التي إذا تحققت وجد الانحراف الفكري، وهذا يقتضي التعريف بمعنى الانحراف الفكري والمراد به ثم بيان ضوابطه .

تعريف الانحراف الفكري :

الانحراف الفكري مركب من كلمتين بتعريفهما يتضح المراد بإذن الله :

الانحراف في اللغة: هو الميل قال الزبيدي انحرف وتحرف : مال وعدل عن الطريق والتحريف: التغيير[1]، وكلمة انحرف انحرافا لا تدل بذاتها في أصلها اللغوي على مدح أو ذم، فقد ينحرف الإنسان لقومه أو لعدوه، أو ينحرف عن العدو كما قال تعالى: ﴿ **إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ** ﴾، غير أنه جرى استعمالها في الذم غالبا فوصف المرء بالانحراف يكون بالذم غالبا .

الفكري: منسوب للفكر، وهو أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تركيب وتحليل وتنسيق، فكل ما أنتجه عقل الإنسان من رأي ناتج عن تأمل وتحليل وتركيب فهو فكر[2]، وعلى هذا يمكن

(١) القاموس المحيط مادة/ حَرَفَ .

(٢) المعجم الفلسفي ص ١٧٣ .

تعريف الانحراف الفكري : بأنه الميل إلى غير الحق في أصول الدين فيما ينتجه عقل الإنسان من رأي .

فما الذي يمكن وصفه بأنه انحراف فكري ؟

والجواب أنه كل ميل عن الحق في أصول الدين

أما ضوابط الانحراف الفكري فيمكن إيجازها في الآتي :

- كل فكر ورأي مخالف أو مناقض لنص الكتاب والسنة .

- كل تأويل للنصوص المتصلة بالاعتقاد لم يقره الأئمة من أهل السنة والجماعة في القرون الثلاثة المفضلة . وبهذه الضوابط يتحدد ما يمكن وصفه بالانحراف الفكري .

الفصل الأول : منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري

المبحث الأول : تثبيت العقيدة الصحيحة في النفوس بالدلائل والبراهين .

لا ريب أن تأصيل وترسيخ الاعتقاد الصحيح من أعظم وسائل الوقاية من الانحراف الفكري، والواقع في القديم والحديث يصدق هذه الحقيقة، إذ لا نكاد نلمس انحرافاً فكرياً فيمن كان لديه اعتقاد صحيح مبني على علم، فلا غرو أن يُعنى الكتاب الكريم والسنة المطهرة بتثبيت العقيدة الصحيحة في النفوس بالدلائل والبراهين العقلية والنقلية، ومن ذلك :

أولاً: تعريفه سبحانه نفسه لعباده بأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله، وأنه واحد لا شريك له، وما يتبع ذلك في كتابه وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

ثانياً: ما استشهد به على ذلك من آيات قدرته وآثار حكمته فيما خلق وذرأ في العالم الأعلى والأسفل من أنواع بريته وأصناف خليقته محتجا به على من ألحد في أسمائه وتوحيده وعطله عن صفات كماله وعن أفعاله وكذلك البراهين العقلية التي أقامها على ذلك والأمثال المضروبة والأقيسة العقلية .

ثالثاً: بيانه سبحانه وتعالى لعباده في كتابه بدء الخلق، وإنشاءه، ومادته، وابتداعه له، وسبق بعضه على بعض، وعدد أيام التخليق ، وخلق آدم ، وإسجاد الملائكة، وشأن إبليس وتمرده وعصيانه وما يتبع ذلك .

رابعاً: ذكره لحقائق المعاد والنشأة الأخرى، وكيفيته وصورته، وإحالة الخلق فيه من حال إلى حال وإعادتهم خلقا جديدا .

خامساً : ذكر أحوالهم في معادهم وانقسامهم إلى شقي وسعيد ، ومسرور بمنقلبه ومثبور به، وما يتبع ذلك .

سادساً : ذكر القرون الماضية والأمم الخالية وما جرى عليهم، وذكر أحوالهم مع أنبيائهم وما نزل بأهل العناد والتكذيب منهم من المثلات، وما حل بهم من العقوبات، ليكون ما جرت عليه

أحوال الماضين عبرة للمعاندين فيحذروا سلوك سبيلهم في التكذيب والعصيان .

سابعاً : الأمثال التي ضربها لهم والمواعظ التي وعظهم بها ينبههم بها على قدر الدنيا وقصر مدتها وآفاقها ليزهدوا فيها، ويتركوا الإخلاد إليها ويرغبوا فيما أعد لهم في الآخرة من نعيمها المقيم وخيرها الدائم(١) .

"فأقام الرب سبحانه وتعالى حجة التوحيد، وبين إفك أهل الشرك والإلحاد بأعذب ألفاظ وأحسنها، لم يستكرهها غموض، ولم يشنها تطويل، ولم يعبها تقصير، ولم تزر بها زيادة ولا نقص، بل بلغت في الحسن والفصاحة والبيان والإيجاز مالا يتوهم متوهم ولا يظن ظان أن يكون أبلغ في معناها منها، وتحتها من المعنى الجليل القدر، البالغ في النفع ما هو أجل من الألفاظ"(٢)

المبحث الثاني : دفع الشبهات .

الشبهات تطلق في الكتاب والسنة ويراد بها أحد المعاني التالية :

الأول : ما يشتبه فيه الحق بالباطل والحلال بالحرام على وجه لا يكون فيه دليل على أحد الجانبين أو تتعارض الأمارتان عنده فلا تترجح في ظنه إحداهما فيشتبه عليه هذا بهذا، وهذا هو المراد في

---

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلة ٢/٦٨٤، ٦٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ٢/٤٦٧ .

حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((**الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات اتقى الحرام ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**))[1]، فالشبهات برزخ بين الحلال والحرام .

ومن أمثلته التمرة التي ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلها وقال : أخشى أن تكون من الصدقة فذلك من باب اتقاء الشبهات [2].

الثاني : كل ما يثير الريب والشك في الأمر الثابت المستقر في نفس المسلم ومن أمثلته :

١- أن يكون المسلم على يقين من أن دينه ثابت مستقر متحدد المبادئ يختلف جذرياً عن العلمانية ويحاربها . فيأتي من يشككه في ذلك ويقول إن الإسلام دين علماني و إنه غير محدد الملامح والقسمات، وإنه قابل للتغير والتشكل وفق الظروف والأحوال الجغرافية والتاريخية، وإنه في الواقع يترك مساحات واسعة من الشؤون الحياتية مفتوحة لكل اجتهاد و رأي أياً كان، وأنه يحقق (المصلحة) وهي بدورها فكرة مبهمة، وإن تحددت أبعادها في الفكر العلماني بشكل مادي واضح،

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب البيوع ١٩١٠، ورواه مسلم في كتاب المساقاة ٢٩٩٦.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/ ١٦٣.

يقصرها على النواحي الاقتصادية أو القيمية المشابهة لقيم الغرب وهكذا فإن المقولة التي تبدو في ظاهرها وكأنها تتوافق مع الأصل الإسلامي الذي يربط بين الدين والدنيا، فإنها في الواقع ترمي لتأسيس فصل الدين عن الحياة من خلال تمييع الإسلام نفسه، وتقليص مساحته، ورده إلى مجرد كيان هلامي شفاف أقرب إلى العدم، يتشكل مع كل ظرف وحال حتى لا يكاد يكون له وجود مستقل أو مميز أو هوية .

٢- ويكون اعتقاد المسلم ثابتا بوجوب الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه فيسمع أو يقرأ لبعض المضلين في بعض تلك القنوات الفضائية أو الصحف والمجلات المضللة ما يشككه في هذا الاعتقاد ويضعف يقينه بوجوب تطبيق شرع الله واتخاذه منهجا للحياة .

والثالث : كل ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعي إلى الحق من الرسل وأتباعهم، أو في بعض ما جاءوا به من الحق، مما يمنع من الاستجابة للحق، ويؤدي للانحراف عنه وغالبا ما ترتبط الشبهة بعادة موروثة، أو مصلحة متوهمة، أو رياسة دنيوية، أو حمية جاهلية فتؤثر الشبهة بسبب هذه الأمور في النفوس الضعيفة المتصلة بهذه الأشياء، وتتعلق بها، وتحسبها حجة وبرهانا تدفع بها الحق وتخاصم بها الدعاة إليه .

ولئن اختلفت الرؤى في هذا الوقت حول مدى أهمية العناية بالشبهات التي يثيرها المخالفون في هذا العصر حول بعض حقائق

الدين ومبادئه عقيدة وشريعة، وما يراه بعض المعاصرين من عدم التوجه لذلك والاكتفاء بعرض حقائق الدين وبيان محاسنه، والهجوم على ما عند المخالفين من أوجه النقص والقصور فيما يدعون إليه .

فإنه مما لا مراء فيه أنه لا ينبغي طرح الشبهات ابتداء، ولكن لا ينبغي تجاهلها إذا كان الناس يسمعونها وتتلقاها أفئدتهم .

وفي القرآن الكريم الهدى والبيان في ذلك، فهو لم يأت لتقرير الشبهات وإنما جاء لبيان الدين الحق، وحين جادل المبطلون بالباطل وأعلنوا الشبهات، دحض شبهاتهم، وكشف زيفها، وبين بطلانها .

فالقارئ لكتاب الله سبحانه وتعالى يجده حافلا بالرد والنقض للشبهات التي أثارها المشركون أو اليهود أو المنافقون في مجال العقيدة، وفي ذلك دلالة على أهمية هذا الأمر باعتباره وسيلة ضرورية لتثبيت المؤمنين ودحض مزاعم الكافرين، وهو أسلوب قرآني لا ينبغي تركه في أي عصر بل الحاجة له قائمة مادام الصراع بين الحق والباطل قائما، والأمثلة على ذلك من الكتاب الكريم أكثر من أن تحصر ومنها على سبيل المثال :

دحض الحق تبارك وتعالى شبه المشركين حول البعث بعد الموت و ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ**

مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ ﴾[1]، يقول سبحانه: إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون ولستم ترتابون في مبدإ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى فهما نظيران في الإمكان والوقوع فإعادتكم بعد الموت خلقا جديدا كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها.

وقد أعاد الله سبحانه هذا المعنى وأبداه في كتابه بأوجز العبارات وأدلها وأفصحها وأقطعها للعذر وألزمها للحجة كقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[2]، فدلهم بالنشأة الأولى على الثانية وأنهم لو تذكروا لعلموا أن لا فرق بينهما في تعلق بكل واحدة منهما وقد جمع سبحانه بين النشأتين في قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الحج، الآية ٥ .

(٢) سورة الواقعة، الآيات ٥٨ - ٦٢ .

(٣) سورة النجم، الآيات ٤٥ - ٤٧ .

ومن ذلك أيضا كشفه سبحانه لشبهات المشركين حول القرآن الكريم وزعمهم أنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم فقد دحض الحق تبارك وتعالى ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾(1).

فبين بطلان دعواهم أن القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم بكونه لم يكن يقرأ قبل ذلك أو يكتب، ورد دعواهم بتعليم بشر آخر للنبي وأن المعلم له رجل أعجمي بمكة بقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾(2) .

كما رد دعواهم بكون هذا القرآن مفترى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وذلك بأن تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله أو بسورة من مثله فقال سبحانه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(3)، وقال جل وعلا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾(4) .

كما كشف سبحانه كذبهم وضلالهم فيما يثيرونه من شبهات

(1) سورة العنكبوت، الآية ٤٨ .

(2) سورة النحل، الآية ١٠٣ .

(3) سورة هود، الآية ١٣ .

(4) سورة يونس، الآية ٣٨ .

أخرى تتعلق بالعقيدة أو بالشريعة ومن ذلك دعواهم رضى الرب بشركهم فيما حكاه سبحانه عنهم بقوله :﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[1]، قال ابن كثير رحمه الله : هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا، فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك، ولهذا قالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ ﴾[2]، الآية وكذلك الآية التي في النحل مثل هذه سواء قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، أي بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء، وهي حجة داحضة باطلة، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودمر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام [3].

كما كشف سبحانه كثيرا من شبه أهل الكتاب التي أثاروها

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤٨ .

(٢) سورة الزخرف، الآية ٢٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/١٨٧ دار الفكر بيروت .

عند المسلمين، ومنها دعواهم بحصر الهدى في الملتين اليهودية والنصرانية، فذكّرهم بملة أبي الأنبياء السابق لهاتين الملتين، وأن الهدى في تلك الملة وأنها أولى بالاتباع فقال جل وعلا : ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[(١)] .

المبحث الثالث: بيان فساد العقائد الباطلة وأسباب ذلك .

بيّن الحق تبارك وتعالى أن الدين الحق هو دين الإسلام، وحكم على سائر الأديان والمعتقدات بالبطلان وعدم القبول، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ ﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[(٣)]، كما كذب الله أهل تلك المعتقدات في دعوى الإيمان وبين كفرهم وأسبابه ، ومن ذلك حكمه سبحانه على اليهود والنصارى بالكفر لأسباب منها: زعم اليهود أن عزيراً ابن الله، واتخاذهم العجل إلها من دون الله، وقول النصارى بألوهية عيسى عليه السلام أو بنوته لله، وقولهم إن الله ثالث ثلاثة .

كما حكم جل وعلا على عقائد المشركين بمختلف أصنافهم

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٥ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ٨٥ .

بالبطلان والفساد، لتسويتهم غير الله به سبحانه وتكذيبهم للرسل، وإنكارهم للبعث، وغير ذلك من أسباب الكفر والضلال .

ولا ريب أن هذا البيان لفساد تلك العقائد فيه تثبيت للمؤمنين، وزعزعة لمعتقدات الكافرين، حيث لم يكن الحكم على تلك العقائد بالفساد والضلال مجردا من ذكر الأسباب .

ومن الأسباب التي ذكرت في القرآن الكريم :

١-تقليد ومضاهاة الكافرين من قبل حيث ورد في القرآن الكريم ما يؤكد أن دعوى اليهود ببنوة عزير لله ، ودعوى النصارى أن عيسى ابن الله – تعالى الله عما يقولون – إنما هو مضاهاة لقول بعض من سبقهم من الكافرين قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1].

كما بين سبحانه أن ما يطلبه الكفار من الآيات والمعجزات إنما ساروا فيه على سيرة من سبقهم من الأمم الكافرة ، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[2]. ولذا نهاهم سبحانه عن هذا المسلك المضل

(١) سورة التوبة، الآية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١١٨ .

فقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[1].

وقد بين الحق تبارك وتعالى الطبيعة الإنسانية الراغبة في تقليد السابقين فيما حدث من قوم موسى عليه السلام حينما مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[2].

٢- اتباع خطوات الشيطان : أوضح الكتاب الكريم والسنة المطهرة خطر الشيطان على الإنسان، وحرصه الشديد على إغوائه وإضلاله، وإقسامه بعزة الله أنه سيسعى لإغواء بني آدم بكل السبل، وأنه سيقعد لهم على صراط الله المستقيم ليضلهم ويصرفهم عنه، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

ولقد صدق ظن إبليس في غالب بني آدم فاستطاع إغواءهم وإضلالهم عن الدين الحق وصرفهم إلى الأديان الباطلة والمعتقدات الفاسدة،كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٧ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٣٨ .

(٣) سورة الأعراف، الآيتان ١٦، ١٧ .

(٤) سورة سبأ، الآية ٢٠ .

قال القرطبي في تفسير الآية : وقيل: هذا عام، أي صدق إبليس ظنه على الناس كلهم إلا من أطاع الله تعالى؛ قاله مجاهد. وقال الكلبي: إنه ظن أنه إن أغواهم أجابوه، وإن أضلهم أطاعوه، فصدق ظنه. ﴿ فَٱتَّبَعُوهُ ﴾ قال الحسن: ما ضربهم بسوط ولا بعصا وإنما ظن ظناً، فإن قيل: كيف علم إبليس صدق ظنه وهو لا يعلم الغيب؟ قيل له: لما نفذ له في آدم ما نفذ غلب على ظنه أنه ينفذ له مثل ذلك في ذريته، وقد وقع له تحقيق ما ظن. وجواب آخر وهو: ما أجيب إليه في قول الله سبحانه: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾[1]، فأعطي القوة والاستطاعة، فظن أنه يملكهم كلهم بذلك، فلما رأى أنه تاب على آدم وأنه سيكون له نسل يتبعونه إلى الجنة وقال الله له : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2]، علم أن لـه تبعاً ولآدم تبعاً؛ فظن أن تبعه أكثر من تبع آدم، لما وُضع في يديه من سلطان الشهوات، ووضعت الشهوات في أجواف الآدميين، فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزيّن في أعينهم تلك الشهوات، ومدّهم إليها بالأماني والخدائع، فصدق عليهم الظن الذي ظنه، والله أ علم [3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٦٤ .

(٢) سورة الحجر، الآية ٤٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٩/١٤ دار الشعب، القاهرة، ط ٢/ ١٣٧٢ هـ .

٣- اتباع الهوى : من أسباب الفساد في العقائد الباطلة بناؤها على الهوى لا على الوحي و العلم، ولذلك بين الله عز وجل أن معارضة الكفار لدعوة الحق وعدم استجابتهم لها إنما هو بسبب اتباعهم لأهوائهم فيما اعتقدوه من عقائد، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [(١)] .

٤- البغي بالعلم : ومن أسباب الفساد في العقائد الفاسدة التي بينها الله في كتابه الكريم البغي بالعلم، حيث ذكره عن أهل الكتاب بقوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [(٢)] .

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسير الآية "ولما قرر سبحانه أنه الإله المعبود، بيّن العبادة والدِّين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له به وهو الإسلام، الذي هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي دعت إليها رسله وحثت عليها كتبه، وهو الذي لايُقبَل من أحد دين سواه، وهو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم، وإنما اختلف أهل الكتاب بعدما جاءتهم كتبهم تحثهم

(١) سورة القصص، الآية ٥٠ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩ .

على الاجتماع على دين الله بغيا بينهم، وعدوانا من أنفسهم[1].

٥- الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض : وهو من أسباب الفساد في العقائد، وقد حذر الله عز وجل منه وسماه كفرا، قال تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[2].

فمن الناس من آمن ببعض ما جاءت به الرسل وكفر ببعض، كمن آمن ببعض المرسلين دون بعض، كحال اليهود والنصارى حيث آمنوا بموسى أو موسى والمسيح معه دون محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا يخاطب الله في القرآن الأميين الذين لم يتبعوا رسولاً، وأهل الكتاب المصدقين ببعض الرسل،كما في قوله: ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ** ﴾[3]، وفى قوله: ﴿ **لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ** ﴾[4].

وكمن آمن ببعض صفات الرسالة وكفر ببعض من الصابئين الفلاسفة ونحوهم، الذين قد يقرون بأصل الرسالة، لكن يجعلون

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٣٠ ط الثانية، دار السلام، الرياض، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق .

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٥ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩ .

(٤) سورة البينة، الآية ١ .

الرسول بمنزلة الملك العادل الذي قد وضع قانونا لقومه، أو يقولون: إن الرسالة للعامة دون الخاصة، أو في الأمور العملية دون العلمية، أو في الأمور التي يشترك فيها الناس دون الخصائص التي يمتاز بها الكمل .

ولهذا تفرق هؤلاء في الدين، وصارت كل طائفة مبتدعة لدين لم يشرعه الله، ومنكرة لما مع الطائفة الأخرى من دين الله، وصار فيهم شبه الأمم قبلهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ [1] .

المبحث الرابع : بيان الأمور المفسدة للاعتقاد والنهي عنها

بين الله عز وجل في كتابه الكريم وعلى لسان نبيِّه الأمين محمد صلى الله عليه وسلم الأمور المفسدة للاعتقاد الصحيح والتي يحدث بوجودها الانحراف الفكري في كل مجتمع، وحذر عباده منها لما لها من آثار سيئة عليهم . ولا ريب أن التعرف على هذه الأسباب من الكتاب والسنة والتحذير منها واجتنابها، من أنفع السبل لوقاية المجتمع من الانحراف الفكري بإذن الله تعالى وهذه أهم الأسباب مرتبة في المطالب التالية :

المطلب الأول: القول على الله بغير علم :

إنّ القول على الله بغير علم من الكبائر التي حرمها الله عز وجل

(١) سورة المائدة، الآية ١٤ .

وجعله قرينا للشرك به سبحانه، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

والمراد بالقول على الله بغير علم : الزعم والكذب عليه سبحانه بالقول بأنه أمر بشيء لم يأمر به حقيقة ، أو نهى عن شيء لم ينه عنه، قال الطبري في تفسير الآية [2]:" وأن تقولوا إن الله أمركم بالتعري والتجرد للطواف بالبيت، وحرم عليكم أكل هذه الأنعام التي حرمتموها وسيبتموها وجعلتموها وصائل وحوامي، وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرمه أو أمر به أو أباحه، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحظره والأمر به، فإن ذلك هو الذي حرمه الله عليكم" .

قال ابن القيم :"وقد حرم الله - سبحانه - القول عليه بغير علم، وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها، كما في هذه الآية، حيث رتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريما منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريما منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربع بما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته، وفي دينه وشرعه .

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٣ .

(٢) جامع البيان ٥ / ٤٧٦ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[1] .

فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه هذا حرام، ولما لم يحله هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه[2] .

لقد نهى الله عز وجل في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن القول على الله بغير علم، وبيّن سبحانه أن افتراء الكذب عليه من وسائل إفساد المعتقدات وإضلال الناس فقال: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[3]، أي: مع كذبه وافترائه على الله، قصده بذلك إضلال عباد الله عن سبيل الله، بغير بيّنة منه ولا برهان ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الذين لا إرادة لهم، في غير الظلم والجور، والافتراء على الله[4].

وبين سبحانه صورا عدة من ضلال المشركين بسبب قولهم عليه بغير علم منها: ادعاؤهم تحريم الله بعض اللحوم والأنعام، فقال:

(١) سورة النحل، الآيتان ١١٦، ١١٧ .

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين ١/ ٣٨ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٤٤ .

(٤) ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن، تفسير الآية ١٤٤ الأنعام .

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[1]، قال الطبري رحمه الله : قل يا محمد لهؤلاء الذين حرموا ما حرموا من الحرث والأنعام من عبدة الأوثان الذين زعموا أن الله حرم عليهم ذلك الذكرين حرم ربكم أيها الكذبة على الله [2] .

وقد بيّن الله عز وجل أن كثيراً من اعتقادات المشركين المنحرفة وضلالاتهم الفاسدة منشؤها القول على الله بغير علم وافتراء الكذب عليه سبحانه كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[3] .

وفي قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[4]، وكما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[5] .

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤٣ .

(٢) جامع البيان ٥/ ٣٧٥ .

(٣) سورة الزخرف، الآية ٢٠ .

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٤٠ .

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٤٤ .

ومن صور القول على الله بغير علم التي هي من أسباب الانحراف في الاعتقاد ما أشار إليه ابن القيم بقوله : ويلي ذلك في كبر المفسدة القول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله ووصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، فهذا أشد شيء منافاة ومناقضة لكمال من له الخلق والأمر(١) .

وكثير من صور الانحراف الفكري الواقع في هذا الوقت ممن يلوون أعناق النصوص، أو يتأولونها على غير وجهها إنما هو قول على الله بغير علم .

وبهذا يتبين أن القول على الله بغير علم من أسباب الانحراف الفكري التي بينها الله في كتابه وحذر منها ، وبه تتضح أهمية اجتناب هذا السبب الخطير والتحذير منه .

المطلب الثاني: الغلو

الغلو مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك .

وعرّفه الحافظ ابن حجر رحمه الله بأنه "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"(٢) .

ومن المعلوم أن الغلو المقصود في الشرع له صور متعددة

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ١٠٠ .

(٢) فتح الباري ٢٧٨/١٣ .

منها: الغلو في الأشخاص بتجاوز الحد في حقهم ورفعهم إلى مالا يستحقونه من الأوصاف وكذلك الغلو في الأحكام والغلو في الأفعال التي هي مشروعة في الأصل .

ومن صور الغلو ترك المباح أو المشروع تعبدا .

- غير أن الحكم على عمل ما بأنه غلو يجب التثبت فيه، وينظر إلى العمل بدقة لئلا يحكم عليه بأنه غلو مع أنه سليم، ولكن الوسيلة إليه قد تكون من باب الغلو فيقع الخلط من هذا الباب.

- ومن صور الغلو الأخرى :

أ - تفسير النصوص تفسيرا متشددا.

ب - تكلف التعمق في معاني التنزيل.

- أن يكون الغلو متعلقا بالأحكام وذلك بأحد أمور :

أ - إلزام النفس أو الآخرين ما لم يوجبه الله عز وجل تعبدا وترهبا.

ب - تحريم الطيبات التي أباحها الله عز وجل على وجه التعبد.

ج - ترك الضروريات أو بعضها.

- أن يكون الغلو متعلقا بالموقف من الآخرين وذلك بأحد أمرين:

أ - أن يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي الذي يوصل بشرا ما سواء أكان فردا أم جماعة إلى درجة لا يستحقها كادعاء

صفات الألوهية لبعض الصالحين والأولياء الذين ماتوا من القدرة على شفاء المرض أو ادعاء العصمة لشخص وجعله مصدر الحق .

ب - أن يقف الإنسان من بعض الناس أفرادا أو جماعات موقف الذام الغالي فيصم المسلم بالكفر والمروق من الدين أو يصم المجتمع المسلم بأنه مجتمع جاهلي [(١)].

خطر الغلو :

للغلو مخاطر عدة منها :

١ - الخروج عن جادة الحق مع ظن الإنسان الغالي بأنه على الحق كما هو الشأن في أولئك الذين يدعون البشر مع الله أو من دون الله ويطلبون منهم مالا يجوز طلبه إلا من الله كمغفرة الذنوب، ورزق الأولاد، ونحو ذلك .

وكما هو شأن الذين يتخذون الشفعاء الذين لم يأذن بهم الله وكما هو شأن الذين يكفرون المسلمين بالكبائر ويغلون في العبادة، ويخرجون على جماعة المسلمين .

وهم الخوارج الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم: ((**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**))[(٢)].

---

(١) د.عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، ص ٨٣ .

(٢) متفق عليه رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب والمؤلفة قلوبهم، رقم الحديث ٤٢٩٩ ورواه مسلم في كتاب الزكاة، رقم الحديث ١٧٦٢ .

٢ - تفريق كلمة المسلمين وإضعاف شوكتهم على عدوهم، فالغلو الذي يترتب عليه قتال لمسلمين وتكفيرهم من أعظم أسباب الفرقة والشتات والنزاع، مما تضعف معه شوكة الأمة .

٣ - إيجاد رد فعل سيئ في واقع الأمة، فإن الغلو قد يحدث بعد التفريط كرد فعل عليه، ومعلوم أن الإرجاء نشأ في الأمة كرد فعل على غلو الخوارج .

٤ - قد يترتب عليه استحقاق العذاب والوعيد الوارد على الغلاة بالنسبة للفرد الغالي .

وقد نهى الله عز وجل أهل الكتاب عن الغلو وتقليد الأمم السابقة فيه لما لـه من أثر عظيم في الضلال عن الحق والانحراف عن الصراط المستقيم، فقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[(١)] .

قال ابن كثير رحمه الله [(٢)]: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه .

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٥٩٠، دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ .

كما نهى عنه النبي بقوله : ((**أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**))[١]، وهذا النهي عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال[٢].

و نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلو فيه خاصة ورفعه فوق منزلته عليه الصلاة والسلام كما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام فقد روى البخاري أن رسول الله قال: ((**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**)) [٣].

قوله: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه قاله أبو السعادات ، وقال غيره: لا تطروني بضم التاء وسكون الطاء المهملة من الإطراء :أي لا تمدحوني بالباطل أو لا تجاوزوا الحد في مدحي .

قوله: ((إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله)) أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية ، وإنما أنا عبد لله فصفوني بذلك كما وصفني به ربي وقولوا عبدالله ورسوله .

---

(١) رواه مسلم ٩٤٤/٢، والنسائي ٢٦٨/٥، وأبو داود ٤٣٥/٢ .

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١٠٦/٢ .

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، ١٤٢/٤ .

وإنما أكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا النهي في أكثر من موضع ومقام لما علمه في هذا الإطراء من وسيلة وطريق للغلو، ولعنايته عليه الصلاة والسلام بحماية جناب التوحيد، وسد أبواب الشرك، ومع ذلك فقد سلكت طوائف من الأمة سبيل الغلو حيث أبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة، وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبدالله ورسوله، وأنه لا يدعى، ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يطاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، أن في ذلك هضما لجنابه وغضا من قدره، فرفعوه فوق منزلته وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، والعجب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته عليه السلام وتعظيمه ومتابعته[1] .

وهذا الحال الذي صار إليه بعض المنتسبين للإسلام، يظهر حكمة عناية القرآن والسنة بالنهي عن الغلو لكونه من أعظم أسباب الانحراف عن الاعتقاد الصحيح .

الفرع الثاني : التفريط

والتفريط : هو الترخص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال .

---

(١) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد، ص ٢٧٢، ومابعدها .

وهـو سبب مـن أسباب فساد الاعتقاد، ويظهر ذلك في باب الإرجـاء ومـنه ظـن المسلم "بأن الإيمان هو نفس التصديق فلا تقدح فـيه الأعمـال، وربمـا أجـرى عـلى لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلـق وهي قوله: (لا يضر مع التوحيد ذنب كما لا ينفع مع الشرك حسـنة) قـال وكيع مبينا أثر بدعة الإرجاء : أحدث هؤلاء المرجئة الجهمـية، والجهمـية كفـار، والمريسـي جهمي وعلمهم كيف كفروا قـال : يكفـيك المعـرفة وهـذا كفر، والمرجئة يقولون الإيمان قول بلا عمل وهذا بدعة .

وقـال الحمـيدي: سمعـت وكـيعاً يقـول وأهـل السـنة يقولون الإيمـان قـول وعمـل والمرجـئة يقولـون الإيمان قول والجهمية يقولون الإيمـان المعـرفة وصـح عـن الحسـن أنـه قـال ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل"[١].

المطلب الثالث : الابتداع

تعـددت ألفـاظ أهل العلم في تعريف البدعة مع اتحاد المعنى أو تقاربـه، ومـن أجمـع تعاريفهـا قـول الإمام الشاطبي:"طريقة في الدين مخترعـة تضـاهي الشـرعية يقصـد بالسـلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى" [٢] .

(١) الصواعق المرسلة ١٤٠٢/٤ .

(٢) الاعتصام ٣٧/١ .

وأوجز منه تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للبدعة بقوله: البدعة هي الدين الذي لم يأمر الله به ولا رسوله فمن دان دينا لم يأمر الله به ورسوله فهو مبتدع "[1] .

وقد ذم الله عز وجل في كتابه الابتداع في الدين وسماه تشريعا لم يأذن به الله فقال سبحانه: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾** ﴾[2].

وقد أوضحت السنة النبوية خطر الابتداع في الدين بوصفه شر الأمور، وأنه يعني الضلال والهلاك، بقول النبي في الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته... الحديث وفيه يقول: أما بعد، **فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**))[3].

وقال صلى الله عليه وسلم : ((**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**))[4] .

---

(١) الاستقامة ١/٥ .

(٢) سورة الشورى الآية ٢١ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث رقم ١٤٣٥.

(٤) رواه أبو داود ٤٦٠٧، واللفظ له، والترمذي ٢٦٧٦، وقال حسن صحيح .

ولقد صدق واقع الأمة قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث لم يحدث فيها الضلال والانحراف الفكري إلاّ بسبب البدع في الدين، وكلما ازداد الناس من البدع في الدين ازدادوا ضلالا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

ولم يفسد على الأمة دينها شيء مثلما أفسدته البدع، ولم تتسع دائرة الانحراف عن الدين الحق إلاّ بسبب البدع "ولهذا قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها، ومعنى قولهم إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ دينا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه أو بأنه ترك حسنا مأمورا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسنا وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب .

ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين " .

ومما يؤكد خطر البدعة أن تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المبتدعة كان مختلفاً عن موقفه من العصاة، ويوضح ذلك ما رواه البخاري في صحيحه (عن عمر بن الخطاب أن رجلاً كان يدعى

حماراً وكان يشرب الخمر وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان كلما أتي به النبي صلى الله عليه وسلم جلده الحد فلعنه رجل مرة وقال: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**)[١].

فهذا رجل كثير الشرب للخمر ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن لعنه .

وأما المبتدع فمثل ما أخرجه البخاري[٢]، وغيره عن على بن أبى طالب وعن أبي سعيد الخدري وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم فجاءه رجل ناتيء الجبين كث اللحية محلوق الرأس بين عينيه أثر السجود وقال ما قال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**يخرج من ضضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون في الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأظنه قال: لئن أدركتهم لأ قتلنهم قتل ثمود**)) وفى رواية (لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل، وفى رواية (شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر ٦٢٨٢ .

(٢) الجامع الصحيح ، كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب رقم الحديث ٤٠٠٤ .

فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلِهم، وقَتَلَهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (١).

المطلب الرابع : الخوض في آيات الله

المراد بالخوض في آيات الله : "التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله" (٢) .

وقد نهى الله عز وجل عن الجلوس مع الخائضين في آيات الله فمن باب أولى أن يكون النهي للمؤمنين عن هذا المسلك المفسد للدين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٣).

فأمر الله رسوله أصلاً، وأمته تبعاً، إذا رأوا من يخوض في آيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى ٤٧٣/١١ .

(٢) ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٩٠، ط دار السلام ١٤٢٢ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٦٨ .

في كلام غيره. فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور .

فإن كان مصلحة، كان مأموراً به، وإن كان غير ذلك، كان غير مفيد ولا مأمور به.

وفي ذم الخوض بالباطل، حث على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق .

ثم قال: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان والغفلة. ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، يشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم بمحرَّم، أو فاعل لمحرم، فإنه يحرم الجلوس والحضور، عند حضور المنكر، الذي لا يقدر على إزالته .

وهذا النهي والتحريم لمن جلس معهم ولم يستعمل تقوى الله، بأن كان يشاركهم في القول والعمل المحرم، أو يسكت عنهم وعن الإنكار، فإن استعمل تقوى الله تعالى، بأن كان يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، فيترتب على ذلك زواله وتخفيفه فهذا ليس عليه حرج ولا إثم، ولهذا قال : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[١]، أي: ولكن ليذكرهم، ويعظهم، لعلهم يتقون الله تعالى[٢].

(١) سورة الأنعام، الآية ٦٩ .

(٢) ابن سعدي، المصدر السابق ٢٩٠ .

فـلا يحـل لمسـلم يسمع في حق الله ما لا يليق بكماله وعظمته وجلالـه، أو يسمع من يلحد في آياته ويخوض في معاني كتابه العزيز بـباطل تأويلاتـه، ويحـرفه عـن مواضـعه أو يخـرجه في الأحكـام عـن مواقعـه، كتحليل حرامه أو تحريم حلاله، أو تغيير كلامه، أو مناقضة شـيء مـن أحكامـه، أو يسمع من يتنقص رسله الكرام، أو يرد قولا مـن أقوال نبيه عليه الصلاة والسلام أو يغض من قدره بصريح لفظ معلـوم، أو بـتلويح مشعر بذلك لأرباب الفهوم ثم يسكت إن أمكنه الكـلام، بل من واجبه الرد والإنكار أو الإعراض والبعد، وكان هذا هـو منهج أئمة السلف وتابعيهم بإحسان ، فقد كانوا قدوة في هجر مجـالس الخوض في آيات الله والنهي عن الجلوس فيها لما يعلمون من أثرها السيئ على الاعتقاد .

وبهـذا يتضـح نهـي الكـتاب والسنة عن الخوض في آيات الله وبيان خطره .

المطلب الخامس : اتباع المتشابه

ومن الأمور المفسدة للاعتقاد التي حذر الله عز وجل منها في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم اتباع المتشابه وترك المحكم، إذ بيّن سبحانه أن المنحرفين الذين في قلوبهم زيغ هم الذين يتبعون المتشابه وأنهم بهذا المسلك يبتغون الفتنة، فقال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ مِنۡهُ ءَايَـٰتٞ مُّحۡكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَـٰبِ وَأُخَرُ**

مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾[١].

وقد اختلفت عبارات أهل العلم في المراد بالمتشابه الذي ذم الله اتباعه، إلاّ أن الطبري رجح أن الصواب "قول من قال: معناه إرادة الشبهات واللبس، فمعنى الكلام إذاً: فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحقّ وَحَيْفٌ عنه، فيتبعون من آي الكتاب ما تشابهت ألفاظه، واحتمل صرفه في وجوه التأويلات، باحتماله المعاني المختلفة إرادة اللبس على نفسه وعلى غيره، احتجاجا به على باطله الذي مال إليه قلبه دون الحقّ الذي أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آي كتابه"[٢]، وهذه الآية معنيّ بها كل مبتدع في دين الله بدعة، فمال قلبه إليها، تأويلاً منه لبعض متشابه آي القرآن، ثم حاجّ به وجادل به أهل الحقّ، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحقّ من المؤمنين، وطلبا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان، وأيّ أصناف البدعة كان من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية، أو كان سبئياً، أو حرورياً، أو قدرياً، أو جهمياً[٣]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧ .

(٢) جامع البيان ٣/ ١٨١ .

(٣) المصدر نفسه (٣/١٨١) .

كالذي قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: ((**فإذا رأيتَ الذين يتبعون ما تشابه منه فأُولئك الذين سمّى الله فاحذروهم**))[١].

وأورد رحمه الله أقوالاً أخرى في المراد بالمتشابه، أذكر منها قولا واحداً يتضح به المقصود :

وقال آخرون: المحكمات من آي الكتاب: ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد؛ والمتشابه منها: ما احتمل من التأويل أوجها. ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ** ﴾، فيهن حجة الربّ، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه. وأُخر متشابهة في الصدق، لهنّ تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهنّ العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام، لا يصرفن إلى الباطل ولا يحرّفن عن الحقّ [٢].

وقد أوضح علماء السلف عموم مجال اتباع المتشابه وأنه لا يقتصر على آيات الصفات كما قد يتوهمه من لا يعلم حقيقته،

---

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات ٥/ ١٦٦ .

(٢) جامع البيان ٣/١٧٤ .

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية :" قد ثبت أن اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات بل في صحيح البخاري : فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم وهذا عام، وقصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب من أشهر القضايا، فإنه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن، حتى رآه عمر فسأل عمر عن الذاريات ذرواً، فقال ما اسمك قال عبدالله صبيغ، فقال: وأنا عبدالله عمر، وضربه الضرب الشديد، وكان ابن عباس إذا ألح عليه رجل في مسألة من هذا الجنس يقول ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ .

وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام :إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه . وكما قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ** ﴾[1]، فعاقبوهم على هذا القصد الفاسد .

ومثله الذي يعارض بين آيات القرآن، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال: ((**لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض**)) فإن ذلك يوقع الشك فى قلوبهم ومع ابتغاء الفتنة ابتغاء تأويله الذي لا يعلمه إلا الله، فكان مقصدهم مذموما ومطلبهم متعذراً، مثل أغلوطات المسائل التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها [2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣١١/١٣ .

ولا ريب أن اتباع المتشابه كان ولا يزال سببا من أسباب الانحراف عن الحق قديما وحديثا، وهو من أسباب تجدد نماذج الانحراف عن الحق، ولذا وجب على المسلمين اجتنابه والبعد عنه، انتهاء عما نهى الله ورسوله عنه، واتقاءً للفتنة، وبعداً عن أسباب الانحراف .

المطلب السادس : الاطلاع على كتب أهل الضلال ثقة بما فيها أو ثقة بأهلها :

من أسباب الانحراف عن الحق والوقوع في الباطل الولع بكتب أهل الضلال، ولذا أنكر الحق تبارك وتعالى على من لم يكتف بالقرآن الكريم مصدراً للهداية، قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾** ﴾[1].

وإنه لمن الكفر بنعمة الله والغفلة عن فضله والإعراض عن شكره، أن يبحث أحد عن الحق والهداية الدينية والرحمة والذكرى في غير هذا القرآن العظيم، والكتاب الكريم، إذ فيه الهدى والفرقان بين الحق والباطل، فهذا النهي الذي جاء في صيغة تعجب واستنكار يدل على نهي الرب جل وعلا عن البحث عن الهداية الدينية في غير هذا الكتاب العظيم .

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٥١ .

كما جاءت السنة النبوية بالنهي الشديد عن الاطلاع على كتب أهل الكتاب حيث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النظر في التوراة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه النبي صلى الله عليه وسلم فغضب فقال: **أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**[1]، فقد غضب النبي من فعل عمر، وجعله تهوكا، والتهوك التحير والتهور والوقوع في الشيء بغير مبالاة[2]، ويمكن القول من جهة أخرى إن ضعف إسناد هذا الحديث يضعف النتيجة المستفادة منه، وإن قوة وسلامة المعتقد لدى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ليس مردها إلى منع الاطلاع على كتب الأديان الأخرى وغيرها من مصادر الفكر والثقافة، بقدر ما هو الحصانة الذاتية للصحابة رضي الله عنهم الناتجة عن قوة تربيتهم على العقيدة الصحيحة وتمسكهم الثابت بها، بدليل وجود فئات أخرى في المجتمع المدني منحرفة الاعتقاد فاسدة التدين هي فئة المنافقين، أظهرت الإسلام نفاقاً وخوفاً، وتقربت من

---

(١) مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين ٢٣/ ٣٤٩، وإسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد راويه عن الشعبي .

(٢) القاموس المحيط، مادة (هوك) .

الكفار وسمعت منهم الطعن في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى عن المنافقين وولائهم للكفار: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾[١]، كما أن شبهات أهل الكتاب والمشركين كانت تتردد في مجتمع المدينة ولذا جاء الرد عليها في القرآن الكريم .

ومثل الاطلاع على كتب الضلال ثقة بما فيها في الحكم، سؤال أهل الضلال عن الحق والتماسه منهم، وهو أمر متفاوت الدرجات .

فقد كان يحصل من بعض المسلمين في الصدر الأول سؤال أهل الكتاب عن بعض الأخبار عن الرسالات والأمم السابقة، أو عن بعض أحوال الآخرة ونحو ذلك، فأنكر عليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه قائلاً :يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أُنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أحدثُ الأخبار بالله، تقرؤونه لم يُشَب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم لا والله ما رأينا منهم رجلاً قط سألكم عن الذي أنزل عليكم[٢] .

(١) سورة المائدة، الآية ٥٢ .

(٢) رواه البخاري كتاب الشهادات باب لايسأل المشرك عن الشهادة وغيرها ٢٦٨٥ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية منكرا على أحد المتصوفة الذي سوغ بعض البدع بدعوى الاقتداء بأهل الكتاب من عُبَّاد بني إسرائيل: "فنحن لا يجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله إذا خالف شرعنا، وإنما علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا، ونتبع الشرعة والمنهاج الذي بعث الله به إلينا رسولنا، كما قال تعالى : ﴿ **فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ** ﴾[1]، فكيف يجوز لنا أن نتبع عباد بنى إسرائيل في حكاية لا تعلم صحتها؟"[2]، وتلقي المعلومات الدينية عن أديانهم عنهم ينبغي أن يكون مشوبا بالحذر، عن التصديق بما يقولون أو التكذيب حيث أرشد إلى ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: ((**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**))[3].

المطلب السابع : الشكوك والشبه

من الأمور المفسدة للاعتقاد الشكوك والشبهات التي تعرض للإنسان وتتأصل في قلبه فتحرفه عن الحق، فقد كان هذا سببا

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤٦٣/١١ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ .

واضحا في انحراف كثير من الخلق عن الحق قديما وحديثا، وإذا تأملنا ما قَصَّه الله تعالى في كتابه الكريم من أخبار الرسل وأممهم، نجد أن من أسباب انحراف بعض الأفراد والجماعات والأمم عن الحق الذي جاءت به الرسل هو الشك الذي قذفه الشيطان بنفوسهم في صدق الرسالات، ولذلك جاء هذا الكتاب الكريم بالحجج القاطعة للشك والمزيلة للريب لمن رغب في الحق، ومن ذلك أن الله عز وجل أقام الأدلة على صدق الرسل ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن هذا الكتاب الذي جاء به إنما هو تنزيل من حكيم حميد، وتحداهم بما يزيل الشك والريب من قلوبهم فقال سبحانه: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

إن الريب ضد الطمأنينة واليقين فهو قلق واضطراب وانزعاج كما أن اليقين والطمأنينة ثبات واستقرار ولذلك نجد المرتاب يتشكك في كل شيء أتى به الوحي، كما يتضح ذلك من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦ .

والمعنى: أن من في قلبه مرض وعمي قلبه عن المراد بذلك فيقول : ماذا أراد الله بهذا مثلا، وهذا حال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها : قلب يفتتن به كفرا وجحودا، وقلب يزداد به إيمانا وتصديقا، وقلب يتيقنه فتقوم عليه به الحجة، وقلب يوجب له حيرة وعمى فلا يدري ما يراد به(1).

ولقد أدرك أعداء هذا الدين من اليهود خاصة أثر الشكوك والشبهات على الإيمان، فكانوا يقومون بإثارة الشبه والشكوك حول ما ينزل من الوحي ما أمكنهم ذلك، فكانوا يتخذون من نسخ بعض الأوامر والتكاليف وتغييرها وفق مقتضيات النشأة الإسلامية الجديدة ذريعة للتشكيك في مصدر هذه الأوامر والتكاليف؛ ويقولون للمسلمين : لو كانت من عند الله ما نسخت ولا صدر أمر جديد يلغي أو يعدل أمرا سابقا .

غير أن هذه المحاولة لم تؤت ما سعى إليه أولئك الأعداء، لأن الله تعالى كشف تلك المحاولة، وأبطل سعيهم، وَثبّت المؤمنين على دينهم .

المطلب الثامن: مجالسة أهل الأهواء والبدع

من أسباب فساد الاعتقاد مجالسة أهل الأهواء والبدع، وقد حرم الله على المؤمنين اتباع أهل الأهواء في أهوائهم، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا**

---

(1) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١ - ١٥، دار المعرفة بيروت ١٣٩٥ .

رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1]، فالخائضون في آيات الله هم أهل الابتداع وأهل الأهواء اللذين تحرم مجالستهم وينبغي البعد عن القعود معهم .

وقد أدرك السلف خطر مجالسة أهل البدع والأهواء وحذروا منها، وكانوا قدوة في اجتنابها، قال ابن خُوَيْز مَنْدَاد : منع أصحابنا الدخولَ إلى أرض العدوّ ودخولَ كنائسهم والبيع، ومجالسةَ الكفار وأهل البدع، وألاّ تُعتقد مودّتهم ولا يُسمع كلامهم ولا مناظرتهم. وقد قال بعض أهل البدع لأبي عِمران النَّخَعِيّ: اسمع مني كلمة؛ فأعرض عنه وقال: ولا نصف كلمة. ومثله عن أيوب السِّختِيانيّ. وقال الفُضيل بن عِيَاض: من أحبّ صاحبَ بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه، ومن زوّج كريمته من مُبْتَدِع فقد قطع رَحِمَها، ومن جلس مع صاحب بِدْعة لم يُعط الحكمة، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مُبغِض لصاحب بِدْعة رجَوْتُ أن يغفر الله له، فبطل بهذا كُلّه قولُ مَن زعم أن مجالستهم جائزة إذا صانوا أسماعهم[2].

المطلب التاسع : الإنكار والتكذيب

التكذيب بالحق حال ثبوته من أسباب الانحراف الفكري التي

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٦٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٣، دار الشعب .

ذم الله بها الكافرين والمنافقين وبيّن أنه من أسباب ضلالهم وانحرافهم، وقد ذم الله عز وجل الكفار لتكذيبهم بالرسل مع معرفتهم بصدقهم، بل ويقينهم بذلك، لكنهم كذبوهم ظلما وعلوا، وقد عدّ العلماء من أنواع الكفر كفر التكذيب، قال ابن القيم رحمه الله : فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله تعالى أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1]، وقال لرسوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[2]، وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح إذ هو تكذيب باللسان[3]، والتكذيب من أعظم أسباب الانحراف عن العقيدة الصحيحة .

المطلب العاشر : الاستكبار

من أسباب الانحراف عن الحق المذكورة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة الاستكبار الذي ذمّ الله عز وجل أهله وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وبيَّن عقوبة المستكبرين في الدنيا، وهي صرفهم عن الحق و عن فهم آياته الكونية والشرعية التي تقود إلى الإيمان الحق، بسبب كبريائهم وعتوهم، قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ

---

(١) سورة النمل، الآية ١٤ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٣ .

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٣٧ .

عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[١]، أي: سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي والذين يتكبرون على الناس بغير حق، أي كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾، قال قتادة: سأمنعهم فَهْمَ كتابي. وقاله سفيان بن عُيينة. وقيل: سأصرفهم عن الإيمان بها. وقيل: سأصرفهم عن نفعها؛ وذلك مجازاة على تكبّرهم. نظيره ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[٣]، والآيات على هذه المعجزاتُ أو الكتبُ المنزَّلة. وقيل: خَلقُ السماوات والأرض. أي أصرفهم عن الاعتبار بها. ﴿ يَتَكَبَّرُونَ ﴾ يَرَوْن أنهم أفضل الخلق. وهذا ظن باطل؛ فلهذا قال: ﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ فَلاَ يتبعون نبياً ولا يَصْغون إليه لتكبّرهم [٤].

ومما سبق يتبين أن الاستكبار عن الحق من أعظم أسباب الانحراف عن الدين الحق، إذ يدفع المرء لاتباع الهوى والإصرار على الباطل، عنادا وإثباتا لغرور الذات دون مبالاة بالحجج والبراهين .

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٦ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١١٠ .

(٣) سورة الصف، الآية ٥ .

(٤) مختصر تفسير ابن كثير، أحمد شاكر ٥٨/٢ .

المبحث الخامس : العقوبات الرادعة في الدنيا والآخرة

تمهيد: عن العقوبات الإلهية في الدنيا والآخرة لأهل الضلال

من منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة في وقاية المجتمع من الانحراف الفكري بيان العقوبات الإلهية لأهل الضلال في الدنيا والآخرة، حيث بين الله عز وجل للناس مؤمنهم وكافرهم عقوباته لمن انحرف عن الحق وآثر الضلال على الهدى، واتبع الباطل وأعرض عن الحق، حيث ذكرهم بأنواع العقوبات التي حاقت بالأمم التي تنكبت طريق الحق، وانحرفت نحو الباطل، وكانت تلك العقوبات أليمة شديدة كما وصفها سبحانه بذلك في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

إن عقوبات الله عز وجل لأهل الضلال كثيرة متنوعة في الدنيا والآخرة، ولقد قص الله علينا في كتابه الكريم ما عاقب به أهل الضلال والانحراف عن الحق من العقوبات العظيمة في الدنيا، ومن ذلك إغراقه لقوم نوح بسبب ضلالهم وتكذيبهم لنبيهم، قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾[2]، وأرسل على عاد ريحاً صرصراً عاتية بسبب ضلالهم قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾[3].

(١) سورة هود، الآية ١٠٢ .

(٢) سورة الفرقان، الآية ٣٧ .

(٣) سورة الحاقة، الآية ٦ .

وإنما ذكر الله تبارك وتعالى ذلك لخلقه ليتعظوا ويأخذوا العبرة من تلك العقوبات فيجتنبوا أسبابها، ومن أهم أسبابها الإصرار على المعتقدات الخاطئة المنحرفة، وذلك أن تلك الأمم التي أهلكها، جمعت في معتقداتها الباطلة صنوفا من الانحراف، فمن ذلك الإشراك بالله، و إنكار الرسالات الإلهية، والتكذيب بالبعث، ودعوى الربوبية في المخلوقات، كما أن بعض الأمم التي آمنت برسالات بعض الأنبياء قد وقعت في بعض صور الانحراف الفكري فعوقبت أيضاً، كما حصل من بني إسرائيل حين اتخذوا العجل إلهاً، وطلبوا رؤية الرب تعالى في الدنيا جهرة، وطلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهاً غير الله، ووصف الله عزوجل بما لا يليق كقولهم إن الله فقير، وقولهم يد الله مغلولة، فسلط الله تعالى عليهم من أزال ملكهم وشردهم من أوطانهم وسبى ذراريهم، كما هي عادته سبحانه وسنته في عباده إذا أعرضوا عن الوحي وتعوضوا عنه بكلام الملاحدة والمشركين .

وحصل أيضاً عند المنتسبين للإسلام بعض صور الانحراف الفكري، من جنس التعلق بكلام الفلاسفة في الإلهيات، وظهور التعلق بالقبور من دون الله في كشف الخطوب وشفاء الأمراض وغير ذلك، فعوقبوا بتسلط الأعداء وقهرهم، وفي هذا يقول ابن القيم: كما سلط النصارى على بلاد المغرب لما ظهرت فيها الفلسفة والمنطق واشتغلوا بها، فاستولت النصارى على أكثر بلادهم وأصاروهم رعية لهم،

وكذلـك في أواخـر المائـة الثالـثة وأول الـرابعة لمـا اشـتغل أهل العراق بالفلسـفة وعلـوم أهل الإلحاد سلط عليهم القرامطة الباطنية فكسروا عسـكر الخلـيفة عدة مرات، واستولوا على الحاج واستعرضوهم قتلا وأسـرا، واشـتدت شـوكتهم، واتهـم بموافقـتهم في الـباطن كـثير من الأعـيان مـن الـوزراء والكـتاب والأدبـاء وغيرهـم، واسـتولى أهـل دعوتهـم عـلى بلاد المغرب، واستقرت دار مملكتهم بمصر، وبنيت في أيـامهم القاهـرة واسـتولوا عـلى الشـام والحجـاز والـيمن والمغـرب وخطب لهم على منبر بغداد[1].

والخلاصـة أن العقوبـات الإلهـية لأهـل الضلال منها عقوبات كونـية كمـا تـبين ومنها عقوبات شرعية دنيوية وعقوبات أخروية ، ومن هذه العقوبات ما سيتم بيانه في المطالب التالية :

العقوبات الدنيوية :

المطلب الأول : عقوبة الردة

مـن أعظـم مظاهـر الانحـراف الفكري الردة عن دين الإسلام أعاذنـا الله مـن ذلـك، ولذلـك حـذر الله سـبحانه وتعـالى منها وبين عظيم عقوباته للمرتدين والتي منها:

حبوط العمل في الدنيا والآخرة، والخلود في النار- أعاذنا الله منها - قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان ٢/٢٦٩ .

إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [1].

وقد تنازع العلماء في التائب من الكفر إذا ارتد بعد إسلامه ثم تاب بعد الردة وأسلم هل يعود عمله الأول على قولين مبناهما أن الردة هل تحبط العمل مطلقا أو تحبطه بشرط الموت عليها فمذهب أبي حنيفة ومالك أنها تحبطه مطلقا ومذهب الشافعي أنها تحبطه بشرط الموت عليها [2].

ومنها اسوداد الوجوه واستحقاق العذاب يوم القيامة قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [3].

ومنها حرمان المغفرة وعدم الهداية للطريق المستقيم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾ [4].

ومنها ضرب الملائكة لهم على الوجوه والأدبار حال الموت، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٧ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٧٠٠ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٦ .

(٤) سورة النساء، الآية ١٣٧ .

ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

هذا بعض ما يتصل من صور العقوبة الأخروية، نسأل الله الثبات على الحق وأن لا يزيغ قلوبنا .

عقوبة المرتد في الدنيا : أما العقوبة الدنيوية التي شرعها الله في حق المرتد فهي القتل حدّاً كما أجمع على ذلك أهل العلم استنادا إلى السنة الصريحة الدالة على ذلك، وإلى فعل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم قال ابن قدامة : " أجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد[2]، وروي ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وأبي موسى وابن عباس وخالد وغيرهم، ولم ينكر ذلك فكان إجماعاً في حق الرجل المرتد، وأما المرأة ففيها خلاف فقد قيل إنه لا فرق بين الرجال والنساء في وجوب القتل، روي ذلك عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، وبه قال الحسن والزهري والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق .

---

(١) سورة محمد، الآيات ٢٥ - ٢٧ .

(٢) ينظر : المغني ج: ٩ ص ١٦، بدائع الصنائع ج: ٧ ص ١٣٤، الأم ج ١ ص ٢٥٧ .

وروي عن علي والحسن وقتادة أنها تسترق و لا تقتل، لأن أبا بكر استرق نساء بني حنيفة وذراريهم وأعطى عليا منهم امرأة فولدت له محمد بن الحنفية وكان هذا بمحضر من الصحابة فلم ينكر فكان إجماعاً .

وقال أبوحنيفة: تجبر على الإسلام بالحبس والضرب، ولا تقتل لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان، ولأنها لا تقتل بالكفر الأصلي فلا تقتل بالطارئ كالصبي .

وقد استدل القائلون بقتل المرتدة بقوله عليه السلام : ((**من بدل دينه فاقتلوه**))[١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة**))[٢]، ولأنها شخص مكلف بدل دين الحق بالباطل فيقتل كالرجل، وأما نهي النبي عن قتل المرأة فالمراد به الأصلية، فإنه قال ذلك حين رأى امرأة مقتولة وكانت كافرة أصلية، ولذلك نهى الذين بعثهم إلى ابن أبي الحقيق عن قتل النساء، ولم يكن فيهم مرتد، ويخالف الكفر الأصلي الطارئ بدليل أن الرجل يقر عليه ،ولا يقتل أهل الصوامع والشيوخ والمكافيف،

(١) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب استتابة المرتد والمرتدة، رقم الحديث ٦٤١١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الديات باب قول الله تعالى أن النفس بالنفس رقم الحديث ٦٢٧٠ .

ولا تجبر المرأة على تركه بضرب ولا حبس، والكفر الطارئ بخلافه والصبي غير مكلف بخلاف المرأة، وأما بنو حنيفة فلم يثبت أن من استرق منهم تقدم له إسلام، ولم يكن بنو حنيفة أسلموا كلهم وإنما أسلم بعضهم، والظاهر أن الذين أسلموا كانوا رجالا، فمنهم من ثبت على إسلامه منهم ثمامة بن أثال، ومنهم من ارتد مثل الدجال الحنفي .

٢- عقوبة الساحر :

تعريف السحر : السحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه. ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى، والسحر: الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ورجل ساحر من قوم سحرة [(١)].

وهو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل، وما يمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين اثنين[(٢)].

والسحر من أشد صور الانحراف الفكري التي قرر لها الشارع الحكيم عقوبة رادعة في الدنيا ووعيدا شديدا في الآخرة، نظراً لخطره

(١) لسان العرب ٤/ ٣٤٨ .

(٢) ابن قدامة، المغني ٩/ ٣٤ .

وشدة ضرره وكثرة أنواعه وتلبيس أهله على الناس الحق بالباطل وخفاء أمره على الناس حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت عنه هذه الأمور فهو ممن لهم التصرف التام المطلق في الكون، وعبد بعضهم السحرة من دون الله .

ومن هذه العقوبات في الدنيا الحكم بقتل الساحر حدا كما جاءت بذلك الأحاديث والآثار .

فعن جندب مرفوعاً: (حد الساحر ضربه بالسيف)[1] وفي رواية :ضربة بالسيف روي بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح ، وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة فقالوا يقتل الساحر، وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبدالله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبدالعزيز.

---

(١) رواه الترمذي وقال الصحيح أنه موقوف من طريق إسماعيل بن مسلم المكي وقال بعد أن رواه لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع هو ثقة ويروى عن الحسن أيضا والصحيح عن جندب موقوف انتهى ورواه أيضا الدارقطني ٣/١١٤ والبيهقي والحاكم وقال صحيح غريب وقال الترمذي في العلل سألت عنه محمدا يعني البخاري فقال هذا لا شيء وإسماعيل ضعيف جدا وقال الذهبي في الكبائر إنه من قول جندب وأشار مغلطاي إلى أنه وإن كان ضعيفا يتقوى بكثرة طرقه وقال خرجه جمع منهم البغوي الكبير والصغير والطبراني والبزار ومن لا يحصى كثرة، قاله الشيخ سليمان بن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد ص ٣٤٤ .

و لم يـر الشـافعي عليه القـتل بمجـرد السـحر إلا إن عمـل في سحره ما يبلغ الكفر، وبه قال ابن المنذر وهو رواية عن أحمد والأول أولى[1]، للحديث ولأثر عمر الذي رواه بجالة بن عبدة قال : (كنت كاتباً لجزء من معاوية فأتانا كتاب عمر رضي الله تعالى عنه قبل موته بسنة اقتلوا كـل سـاحر وسـاحرة... الخ)[2]، وعمـل بـه الـناس في خلافته من غير نكير فكان إجماعاً، وهو من حجج الجمهور القائلين بأنه يقتل .

٣- عقوبة الذهاب إلىالكهان :

والكهانـة بفـتح الكـاف ويجـوز كسـرها " ادعـاء علم الغيب كالإخـبار بمـا سيقع في الأرض مـع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه اسـتراق الجـن السـمع مـن كـلام الملائكـة، فيلقـيه في أذن الكـاهن، والكـاهن : لفـظ يطلـق عـلى العـراف، والـذي يضـرب بالحصـى، والمـنجم، ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه، و الكـاهن: القاضـي بالغيب، والكهنة: قوم لهم أذهان حادة ونفوس شـريرة وطـباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه .

---

(١) ابن قدامة، المغني ١٢/ ٣٠٢ .

(٢) رواه سـعيد بـن منصـور في سـننه ٢/ ٩٠، وأخـرجه البـيهقي في بـاب تكفـير السـاحروقتله ١٣٦/٨، وعبد الرزاق في مصنفه في باب قتل الساحر ١٧٩/١٠ .

وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم، وهي على أصناف منها: ما يتلقونه من الجن فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضا إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ** ﴾[1]، وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدا كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جدا حتى كاد يضمحل ولله الحمد[2].

وقد جاء تحريم عمل الكهان وتحريم الذهاب إليهم في السنة المطهرة فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**من أتى امرأة حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد**))[3].

وروى مسلم بإسناده عن صفية عن بعض أزواج النبي عن

(١) سورة الصافات، الآية ١٠ .

(٢) فتح الباري ١٠/٢٢٧ .

(٣) رواه النسائي ٥/٣٢٣ وقال المنذري في الترغيب والترهيب إسناده حسن .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((**من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**))[1].

٤- عقوبة الخوض في المتشابه : سبق الحديث عن الخوض في المتشابه باعتباره من أسباب الانحراف الفكري التي ورد النهي عنها في الكتاب والسنة بالتفصيل، ولذا أقتصر هنا على الحديث عن العقوبة، وأقوى الأدلة في عقوبة الخوض في المتشابه فعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع صبيغ بن عسل " فإنه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسأل عمر عن الذاريات ذروا فقال: ما اسمك قال: عبدالله صبيغ فقال: وأنا عبدالله عمر وضربه الضرب الشديد " وكانت هذه العقوبة مثار إعجاب الصحابة رضي الله عنهم "فكان ابن عباس إذا ألح عليه رجل في مسألة من هذا الجنس يقول: ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ .

وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام :إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم . وكما قال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ** ﴾[2].

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٧٥١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧ .

ومثله الذي يعارض بين آيات القرآن، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال: ((**لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض**)) فإن ذلك يوقع الشك في قلوبهم، أو مع ابتغاء الفتنة ابتغاء تأويله الذي لا يعلمه إلا الله فكان مقصدهم مذموما ومطلبهم متعذرا مثل أغلوطات المسائل التي نهى رسول الله عنها"(١).

وقد يثير بعض الناس هنا موضوع الحرية الفكرية، وحرية إبداء الرأي فنقول: إن هذا متاح فيما للإنسان فيه مصلحة ومعرفة تامة، كالقضايا التي تهمه في معاشه، وما كان ممكنا له فهمه وعلمه كالمسائل الفقهية ونحوها، أما المسائل التي من متشابه القرآن والتي لا يفهمها إلاّ الراسخون في العلم على قول، فليس لكل أحد أن يخوض فيها بحجة حرية الفكر .

التعزير لدعاة الانحراف :

التعزير في اصطلاح الفقهاء : تأديب دون الحد على معصية لا حد فيها ولا كفارة من العزر وهو الزجر والمنع (٢).

ويعد التعزير من أوسع أبواب السياسة الشرعية لولي الأمر المسلم لتحقيق مصالح المسلمين، ومن صوره، تقرير بعض العقوبات على المخالفات والجنح التي لا نص في العقوبة عليها في الدنيا، مثل

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣١١ .

(٢) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد المناوي ١٨٦/٢، التعريفات، الجرجاني ٨٥ .

عقوبة المبتدع، والداعي إلى الضلال .

فالمتأمل فيما ذكره الفقهاء في باب التعزير يجد مجالا واسعا لولي الأمر لمعاقبة دعاة الضلال والانحراف، ومن تلك العقوبات المنع من التواصل الإعلامي بالكتابة والحديث بأي وسيلة .وقد يرى البعض أن هذا مما يتنافى مع حرية الرأي، والتعددية الفكرية، ويرون في هذا إرهابا فكريا وغير ذلك من وجوه الذم . وفي الجواب عن هذا يقال : إن هؤلاء المنادين بحرية الرأي سرعان ما يكذبون أنفسهم إذا تعلق الأمر بغيرهم ممن يخالفهم الرأي، فهم في وسائلهم لا ينشرون إلاّ لمن يوافقهم . ويسكتون على كل قضية تتصل بوأد الحريات إذا كان ذلك يمس الدين ودعاته .بل ربما نادى بعضهم بمنع مخالفيهم من كل وسيلة نشر .

ومن صور التعزير في هذا المجال أيضا : رد الشهادة أو عدم قبول الرواية، فمن العقوبات التي قررها أهل العلم تجاه أصحاب الفكر المنحرف والاعتقاد البدعي أن المبتدع لا تقبل شهادته تأديبا وعقوبة له، غير أن أهل العلم لم يعمموا الحكم، وإنما نظروا بعين البصيرة والعدل للأشخاص ودرجة انحرافهم وأسباب ذلك، ومدى قدرتهم على معرفة الحق " فمن كفر بمذهبه كمن ينكر حدوث العالم وحشر الأجساد وعلم الرب تعالى بجميع الكائنات وأنه فاعل بمشيئته وإرادته فلا تقبل شهادته لأنه على غير الإسلام .

وأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام ولكنهم مخالفون في بعض الأصول كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم فهؤلاء أقسام:

أحدها: الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له فهذا لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادرا على تعلم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين كما قال تعالى: ﴿ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[(١)].

القسم الثاني: المتمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق، ولكن يترك ذلك اشتغالا بدنياه ورياسته ولذته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرط مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، و حكمه حكم أمثاله من تاركي بعض الواجبات فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى ردت شهادته، وإن غلب ما فيه من السنة والهدى قبلت شهادته.

القسم الثالث: أن يسأل ويطلب ويتبين له الهدى ويتركه تقليدا وتعصبا أو بغضا أو معاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقا، وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل، فإن كان معلنا داعية ردت شهادته وفتاويه وأحكامه مع القدرة على ذلك و لم تقبل له

(١) سورة النساء، الآيتان ٩٨، ٩٩.

شهادة ولا فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة، كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم وكون القضاة والمفتين والشهود منهم ففي رد شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير ولا يمكن ذلك فتقبل للضرورة .

وقد نص مالك رحمه الله على أن شهادة أهل البدع كالقدرية والرافضة ونحوهم لا تقبل وإن صلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا .

وإنما منع الأئمة كالإمام أحمد بن حنبل وأمثاله قبول رواية الداعي المعلن ببدعته وشهادته والصلاة خلفه، هجرا له وزجرا، لينكف ضرر بدعته عن المسلمين، ففي قبول شهادته وروايته والصلاة خلفه واستقضائه، وتنفيذ أحكامه رضى ببدعته وإقرار له عليها .

وقال إسحاق بن منصور قلت لأحمد كان ابن أبي ليلى يجيز شهادة كل صاحب بدعة إذا كان فيهم عدلا لا يستحل شهادة الزور قال أحمد ما تعجبني شهادة الجهمية والرافضة والقدرية والمعلنة .

وقال الميموني سمعت أبا عبد الله يقول من أخاف عليه الكفر مثل الروافض والجهمية لا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم [1].

الأمر بقتال الخوارج : ومن العقوبات الدنيوية لأهل الانحراف الفكري المتمثل في الخوارج الأمر بقتالهم ، إذ جاء في السنة الحث على قتالهم من قبل الأئمة قال صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي اعترض على قسمة الغنائم : ((**إن من ضئضئ هذا أو في عقب هذا**

---

(1) ابن القيم ، الطرق الحكمية ، ص ١٧٣، ١٧٤ .

قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))(١).

الفصل الثاني : التطبيقات العملية للوقاية من الانحراف الفكري في تاريخ المسلمين

المبحث الأول : في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

يرى بعض الباحثين أن الانحراف الفكري بين المسلمين لم يظهر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لسببين رئيسين :

الأول : انعزال المسلمين في مبدأ الدعوة عن غيرهم من المجتمعات والشعوب غير العربية .

وثانيهما : أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يزال بين ظهراني المسلمين، وله من الصلة بربه ومن قوة شخصيته الكريمة، ما يجعل كلمته القاطعة وقوله الفصل، فكان كلما رأى من بعض أصحابه ميلا إلى التعمق أو البحث في متشابه القرآن نهاهم عن ذلك وبين لهم أن الهلاك في الدين إنما هو السير وراء هذا النوع من الإيمان (٢).

ومع ذلك فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث ٤٠٠٤ .

(٢) محمد عبد الرحمن بيصار، إثبات العقائد الإسلامية، بحث ضمن بحوث المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ص ٥٥٠ .

ومظاهر الانحراف الفكري، ولا سيما في المناسبات التي تقتضي ذلك، ومن تلك المظاهر التي حذر منها :

١- الغلو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ((**أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**))[١]، وهذا النهي عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال [٢] .

و نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلو فيه خاصة ورفعه فوق منزلته عليه الصلاة والسلام كما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام فقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**))[٣] .

قوله: ((**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**)) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه . قاله أبو السعادات وقال غيره : لا تطروني بضم التاء وسكون الطاء المهملة من الإطراء أي : لا تمدحوني بالباطل أو لا تجاوزوا الحد في مدحي .

قوله : ((**إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**)) أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه

(١) رواه مسلم ٢/٩٤٤، والنسائي ٥/٢٦٨، وأبو داود ٢/٤٣٥ .

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/١٠٦ .

(٣) الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، ٤/١٤٢.

الربوبية، وإنما أكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا النهي في أكثر من موضع ومقام لما علمه في هذا الإطراء من وسيلة وطريق للغلو .

٢- ونهى أن يصلى إلى القبر، أو يتخذ مسجداً، أو عيداً، أو يوقد عليه سراج .

٣- نهيه صلى الله عليه وسلم عن طلب الحق من المصادر المخالفة :

ومن جهة أخرى فربما أمكن القول بأن نهي الرسول للصحابة عن النظر في كتب اليهود خاصة كان سببا في وحدة مصادر التلقي مما يؤدي إلى سلامة الفكر والثبات على الحق، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال: ((**أمتهوكون يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم**))[1].

ويمكن القول من جهة أخرى إن ضعف إسناد هذا الحديث يضعف النتيجة المستفادة منه، وأن صحة المعتقد وسلامة الفكر لدى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ليس مردها إلى منع الاطلاع على كتب الأديان الأخرى وغيرها من مصادر الفكر والثقافة، بقدر ما هو الحصانة الذاتية للصحابة رضي الله عنهم الناتجة عن قوة تربيتهم

(١) مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين ٢٣/ ٣٤٩، وإسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد راويه عن الشعبي .

على العقيدة الصحيحة وتمسكهم الثابت بها، بدليل وجود فئات أخرى في المجتمع المدني منحرفة الفكر فاسدة التدين، وهي فئة المنافقين، أظهرت الإسلام نفاقا وخوفا، وتقربت من الكفار ووالتهم وسمعت منهم الطعن في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى عن المنافقين وولائهم للكفار: ﴿ **فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ** ﴾[1]، كما أن شبهات أهل الكتاب والمشركين كانت تتردد في مجتمع المدينة ولذا جاء الرد عليها في القرآن الكريم، وكان هناك من يستمع لها ويتلقاها، كما قال تعالى: ﴿ **وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ** ﴾[2].

٤- حرصه على قتل المرتد كما في قصة عبد الله بن أبي السرح. قال ابن القيم :وفيها من الفقه جواز قتل المرتد الذي تغلظت ردته من غير استتابة ." فإن عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله، ثم ارتد ولحق بمكة، فلما كان يوم الفتح أتى به عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعه فأمسك عنه طويلا ثم بايعه، وقال :إنما أمسكت عنه ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه، فقال له رجل: هلا أو مأت إلي يا رسول الله، فقال :ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين . فهذا كان قد تغلظ كفره بردته بعد إيمانه وهجرته وكتابة الوحي،

(١) سورة المائدة، الآية ٥٢ .

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٧ .

ثـم ارتـد ولحـق بالمشركين يطعن على الإسلام ويعيبه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يـريد قتله، فلما جاء به عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة لم يأمر النبي بقتله حياء من عثمان، و لم يبايعه ليقوم إليه بعض أصحابه فيقتله، فهابوا رسول الله أن يقدموا على قتله بغير إذنه واستحيى رسول الله فبايعه[1].

ولعنايته – عليه الصلاة والسلام – بحماية جناب التوحيد، وسد أبواب الشرك، فإنه كان أحرص الخلق على قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، حتى في الأقوال والألفاظ وصور ذلك كثيرة معلومة من سيرته عليه الصلاة والسلام، ومنها :

١- نهيه صلى الله عليه وسلم عن الألفاظ الموهمة لتسوية غير الله به، مثل قول الإنسان ما شاء الله وشئت، فقد روى النسائي بإسناده عن قتيلة (أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: **ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت**)[2].

٢- ونهى أن يحلف بغير الله وأخبر أن ذلك شرك، فعن عمر ابن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**من حلف**

(١) زاد المعاد: ٤٦٤/٣ مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ تحقيق الأرناؤوط .

(٢) رواه النسائي في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، وصححه رقم الحديث ٣٧١٢ .

بغير الله فقد كفر أو أشرك))[1].

وكان بعض حدثاء العهد بالإسلام تجري على ألسنتهم بعض الألفاظ الشركية كالحلف باللات والعزى ونحوهما، وربما لم تكن مقصودة، ومع ذلك أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بتجديد الشهادة إذا صدر عنهم مثل هذا الحلف، ففي الحديث الذي رواه البخاري وغيره أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**من حلف منكم فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق**))[2].

ولم يقتصر جهد النبي صلى الله عليه وسلم في وقاية المجتمع المسلم على العلاج أو العقوبات للحماية من الانحراف الفكري، بل كان معظم جهده متوجها نحو بناء العقيدة الصحيحة، وبيان فضائلها، والحث على التمسك بها ونبذ الانحرافات الجاهلية، وضرب الأمثلة بانحراف الأمم السابقة والتحذير من مسلكهم .

العهد النبوي بين حرية الفكر وحماية العقيدة :

بالرغم من أن العهد النبوي اتسم بحرية تعبير واسعة ،تجلت فيما أتيح لليهود والمنافقين من حرية الكلمة والتعبير عن الرأي، إلاّ أن المؤمنين قد اكتسبوا حصانة إيمانية أدت إلى مناعة ذاتية تجاه

---

(١) رواه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب كراهية الحلف بغير الله رقم الحديث ١٤٥٥ .

(٢) الجامع الصحيح كتاب الأيمان والنذور رقم الحديث ٥٨٣٦ .

الفكر اليهودي، ودعوات المنافقين وتشكيكاتهم، ويؤكد وجود مساحة الحرية تلك، ماحكاه القرآن الكريم من أقوال اليهود والمنافقين المتضمنة لطعنهم في دين الإسلام وبعض أحكام الشريعة، واستهزائهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فما زاد ذلك المؤمنين إلاّ شدة في الدين وثباتا عليه، وتصديا للفكر اليهودي وشبهات المنافقين وضلالاتهم .

ومع أن عهد النبي صلى الله عليه وسلم اتسم بانفتاح كبير علىالفكر المخالف، إلاّ أن موقف الصحابة رضي الله عنهم من هذا الفكر على اختلاف مذاهبه وتنوع اتجاهاته، كان يتسم بالنظر إليه على أنه فكر بشري قاصر، ينظر إليه من خلال الرؤية الإسلامية متمثلة في القرآن الكريم وأقوال النبي الأمين . إذ كانوا يرون الوحي هو مصدر الحق الذي توزن به الأفكار ويميزبه الحق من الباطل، ويتضح به الصواب من الخطأ .

وكان هذا الموقف القوي من الفكر الآخر بالرغم من أن بعضه كانت له مكانته العالية في المدينة باعتباره فكرا مرتبطا بديانة سماوية وأهله أهل كتاب إلهي كالفكر اليهودي، ناتجا عن الأساس الفكري الذي نشأ عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وقوة اقتناعهم به، وجزمهم بأن اليقين والحقيقة إنماهي في وحي الله الذي أوحى به إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما نحتاجه في هذا الزمن الذي فشت فيه فتن الشبهات وتنوعت فيه مضلات الفتن،

وتعددت أبوابها، وتكاثرت وسائلها، ففي زمن البث الفضائي الهادر وتعدد مصادر التلقي لابد من الاجتهاد في تربية الوازع الإيماني، وغرس روح الاعتزاز بالحق، وإيجاد الحصانة الذاتية في النفوس .

المبحث الثاني : في عهد الخلافة الراشدة

سار الخلفاء الراشدون على النهج النبوي في العناية بحماية المجتمع المسلم من أسباب ومظاهر الانحراف الفكري، وقد تجلى ذلك بصور خاصة في بعض الفترات والوقائع التي يحدث فيها شيء من ذلك، وسوف أستعرض بعض النماذج في عهد الخلافة الراشدة باعتبارها أمثلة دالة على غيرها .

في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه : تعتبر حروب الردة نموذجا عمليا ظاهرا على عناية الخليفة الراشد الأول بمحاربة ظواهر الانحراف الفكري، حيث تصدى لهذه الظاهرة الخطيرة التي هي الردة بكل حزم وحسم، ولم يتردد في الأمر بالرغم من المخاطر التي كانت تحيط بدولة الإسلام آنذاك .

قال محمد بن إسحاق: ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على أبي بكر رضي الله عنه (١).

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٢/٦٦٥.

فإنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب، ونجم النفاق بالمدينة، وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، والتفت على طليحة الأسدي بنو أسد وطيء، وادعى النبوة أيضا كما ادعاها مسيلمة الكذاب، وعظم الخطب واشتدت الحال، ونفذ الصديق جيش أسامة فقل الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا عليها، فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراسا يبيتون بالجيوش حولها، فمن أمراء الحرس علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود. وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة ، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[1]، قالوا فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فواعجبا ما بال ملك أبي بكر

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق من ذلك وأباه [2].

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٣ .

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ٦/٣١١ .

كما حرص أبو بكر رضي الله عنه أن يقاوم أي انحراف فكري ولو لم يصل حد الردة، فحين رأى بعض الأعراب أن أداء الركن الثالث من أركان الإسلام (الزكاة) لا يلزمهم،عزم على ردهم للحق وقتالهم إن أبوا، وكان للصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأي آخر فناقش أبا بكر في ذلك قائلا لأبي بكر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها** ؟ فقال أبو بكر : والله لو منعوني عناقا وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)[١].

في عهد عمر رضي الله عنه : وقد سار الخليفة الثاني على منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه في الاهتمام بحماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، وأسبابه، ومن صور عنايته بذلك قصته مع صبيغ بن عسل الذي كان يثير بعض الشبهات بأسئلته عن متشابه القرآن، إذ قدم المدينة وأخذ يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر فأعد له عراجين النخل فقال من أنت؟

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ العناق في الصدقة رقم الحديث ١٣٦٤.

قـال: أنـا عـبد الله صـبيغ قال: وأنا عبد الله عمر، فضربه حتى أدمى رأسـه فقـال حسـبك يـا أمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في رأسـي أخـرجه ابـن الأنباري من وجه آخر عن يزيد بن خصيفة عن السـائب بـن يزيد عن عمر بسند صحيح وفيه فلم يزل صبيغ وضيعا في قومـه بعـد أن كـان سيدا فيهم، قلت وهذا يدل على أنه كان في زمـن عمـر رجـلا كـبيرا قـال أبـو أحمـد العسكري اتهمه عمر برأي الخوارج [١].

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية على قصة عمر رضي الله عنه مـع صـبيغ بقولـه :"وقصـة صـبيغ بـن عسل مع عمر بن الخطاب من أشـهر القضـايا فإنـه بلغـه أنـه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسـأل عمـر عن الذاريات ذروا فقال لـه عمر ما اسمك ؟ قال: عبدالله صبيغ فقـال :وأنـا عـبدالله عمـر، وضربه الضرب الشديد، وكان ابن عباس إذا ألح عليه رجل في مسألة من هذا الجنس يقول : ما أحوجك أن يصـنع بـك كمـا صـنع عمـر بصـبيغ، وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام [٢].

ويمكـن أن يسـتفاد مـن فعـل هـذا الخليفة الراشد الذي أمرنا باتباع سنته شأنه شأن الخلفاء الراشدين الثلاثة، أن لولي الأمر المسلم الحـق أن يمـنع مـن يخشـى أن يحـدث قولـه وفكره انحرافا فكريا على

(١) ينظر : ابن حجر الإصابة ٣/٤٥٩، الدارمي، السنن ١/٦٦ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣١١ .

المسلمين وربما كان من أسباب استقرار المجتمع المسلم في عهد هذا الخليفة الراشد وعدم وجود حركات الخروج والتمرد والانحراف الفكري، هو شدة عمر رضي الله عنه في الحق وتلافيه لبوادر هذه الشرور من بداياتها .

وأما في عهد عثمان رضي الله عنه : فقد كان يعاقب من يظهر شيئا من المخالفة أو الانحراف عن المنهج السوي، بالنفي عن المكان الذي حصل فيه الخطأ فيه، و لم يذكر في عهده رضي الله عنه من الحوادث ما يلفت النظر من جهة الانحراف الفكري، كالردة أو البحث عن المتشابه والتشكيك في القرآن، لكن كانت بدايات الانحراف عن السنة في الموقف من الأمراء، حيث أثار السبئيون بعض الناس على عثمان رضي الله عنه فكان يعالج الموقف بحكمته وصبره، وعفوه و لم يبدأ في عقاب أحد ممن عرف بشيء من ذلك قبل أن يظهر منه فعل يوجب العقوبة .

في عهد علي رضي الله عنه: برز في واقع المسلمين انحرافان عقديان بارزان هما :

انحراف الخوارج وانحراف الشيعة ، فواجه علي رضي الله عنه هذين الانحرافين بما يليق بهما من المواجهة المناسبة، إذ واجه الخوارج أول الأمر بالحوار والجدال بالتي هي أحسن، حين أرسل ابن عمه عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - لمناقشة شبهات الخوارج في

خروجهم على أمير المؤمنين وتكفيرهم له، فكان نتيجة هذا الحوار رجوع أربعة آلاف منهم إلى جادة الحق . ويعد مثل هذا العمل إنجازا عظيما في مكافحة الغلو، وكان لقدرة عبدالله بن عباس، وعلمه الغزير، وذكائه، الأثر الكبير في هذا التحول من الغلو إلى الاعتدال وجادة الصواب .

معالجة غلو الشيعة :

وأما انحراف الشيعة فكان متفاوتا في درجاته، فعالج علي رضي الله عنه كل انحراف منها بما يناسبه ، فعالج دعوى بعضهم في تفضيله على أبي بكر وعمر بجلد من يقول بذلك، وأعلن بهذه العقوبة في الناس فقال: (لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته الحد) .

وأما الذين زعموا أنه ربهم فقد قتلهم حرقا بالنار بعد إصرارهم على هذا الانحراف .

فقد ذكر ابن حجر في الفتح عن أيوب عن عكرمة قال: أتي علي بزنادقة فأحرقهم .

ولأحمد من هذا الوجه أن عليا أتي بقوم من هؤلاء الزنادقة ومعهم كتب فأمر بنار فأججت ثم أحرقهم وكتبهم [1].

(١) فتح الباري ١٥٦/٦

المبحث الثالث: نماذج من التطبيقات العملية من قبل الأئمة المجددين من السلف

المطلب الأول : الأئمة الأربعة

تفاوت النقل عن الأئمة الأربعة في مجال تصديهم لمظاهر الانحراف الفكري، تبعا لدرجة الانحراف الذي عايشه كل إمام،ونوعه واستمراره أو عدم استمراره ،ولذا نجد الآثار المنقولة عنهم في هذا المجال متفاوتة . ولهذا سيكون الحديث في هذا المبحث عن الإمامين مالك والشافعي .

ولتكن البداية بإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله : فقد اشتهر عن هذا الإمام حزمه وإنكاره الشديد لأي انحراف في العقيدة، حتى لو ظهر بمظهر السؤال البريء، وربما كان سبب ذلك معرفة الإمام بأن إثارة مثل هذه الأسئلة ينبئ عن انحراف عقدي، أو أن السؤال إنما قصد به التشكيك .

فقد تحدث يحيى بن خلف بن الربيع الطرسوسي قال كنت عند مالك بن أنس ودخل عليه رجل فقال: يا أبا عبدالله: ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال مالك زنديق اقتلوه! فقال: يا أبا عبدالله إنما أحكي كلاما سمعته ! فقال لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك؟! وعظّم هذا القول وفي موقف آخر حكاه جعفر بن عبدالله قال: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبدالله: الرحمن على العرش

استوى كيف استوى ؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء يعني العرق، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال : الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج[1].

وكان كثير التأكيد على المسائل الفكرية التي يظهر انحراف عن الاعتقاد الصحيح فيها، فحين كثر خوض الرافضة في حق الصحابة رضي الله عنهم قال مالك : من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾[2]، حتى أتىقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[3]، فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له في الفيء حق[4].

وفي موقف آخر ذكر عنده رجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ مالك هذه الآية : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ

---

(١) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء ٦/ ٣٢٥ .

(٢) سورة الحشر، الآية ٧ .

(٣) سورة الحشر، الآية ١٠ .

(٤) المصدر نفسه ٦/ ٣٢٦ .

مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ ﴾[1]، وقال : من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته الآية [2].

الإمام الشافعي وجهوده في حماية المجتمع من الانحراف الفكري :

فقد كان موقف الشافعي رحمه الله كغيره من أئمة السنة قوياً تجاه مظاهر الانحراف الفكري مهما كانت درجتها، مع التعامل مع كل حالة بما يناسبها، فكان رحمه الله شديدا على أهل الكلام لما يرى من أثرهم السيء على الأمة في اعتقادها، قال الربيع : سمعت الشافعي يقول المراء في الدين يقسي القلب ويورث الضغائن .

وقال صالح جزرة سمعت الربيع يقول: قال الشافعي : يا ربيع أقبل مني ثلاثة لا تخوضن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن خصمك النبي صلى الله عليه وسلم غدا ولا تشتغل بالكلام فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، وزاد المزني ولا تشتغل بالنجوم .

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ٦/ ٣٢٦ .

وعن الشافعي حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ .

وقال الزعفراني وغيره سمعنا الشافعي يقول حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر ينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام. وقال أبو عبد الرحمن الأشعري صاحب الشافعي: قال الشافعي : مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم في البلاد [1].

شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري :

وبعد أن استعرضت جانبا من جهود الأئمة الأربعة في مواجهة الانحراف الفكري وحماية المجتمع منه، أتحدث عن علم آخر في فترة بعيدة عن عصر أولئك الأئمة فترة تتسم بظهور مكثف للعديد من مظاهر الانحراف الفكري وهو القرن الثامن الهجري، وعن علم بارز في هذا المجال هو شيخ الإسلام : أحمد بن عبدالسلام بن تيمية، الذي ظهرت جهود ه بارزة في مواجهة الانحراف الفكري نظراً لسعة مجال هذا الانحراف وتعدد صوره، وبعد الفترة الزمنية بين عصره وعصر النبوة، مما أدى إلى فشو كثير من مظاهر الانحراف، لهذا كانت جهود شيخ الإسلام في مكافحة مظاهر الانحراف واسعة متعددة بتعدد تلك المظاهر .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩ .

انحراف القبوريين، انحراف الفلاسفة، انحراف أهل الحلول والاتحاد، انحراف الصوفية، انحراف أهل الكلام .

فقد كشف رحمه الله جوانب الانحراف لدى الفلاسفة المنتسبين للإسلام، وبين أخطاءهم وحذر من معتقداتهم المخالفة .

وكان له كتب ورسائل في هذا المقام منها : درء تعارض العقل والنقل ومنها : الرسالة التدمرية وتجربة شيخ الإسلام في مواجهة الانحراف الفكري جديرة بالتدبر والاعتبار فهي تقارب هذا الزمن من جهة السماح لكل مبتدع ومبطل بالحديث عن العقيدة والطعن بما يريد، ومن العبر التي يمكن استخلاصها :

١- أنه مهما كان بذل العالم المصلح في مجال وقاية المجتمع من الانحرافات الفكرية فإن قرب المبطلين وأصحاب الأهواء من الولاة والسلاطين، يجعل أثر العالم ضعيفا غير مؤثر في أهل عصره على نحو يوازي الجهد المبذول، فإن شيخ الإسلام بالرغم من قوة حجته وتمكنه من نقد كثير من الفرق المنحرفة والآراء الشاذة فإن آثاره العلمية الغزيرة لم يكتب لها التأثير العام في وقته على النحو الذي حدث في عصور تالية حين تبنت هذه الآثار جهات لها سلطة في مكانها، وكان فقهه ونتاجه الفكري محل التهمة والتضييق في وقته إلى أن توطدت أواصر العلاقة بينه وبين السلطان الناصر، مما كان له أثره في تبني السلطان لبعض آراء الشيخ ومقترحاته بشأن مواجهة

بعض الفرق المنحرفة ومنعها مما كانت تعاطاه من أعمال الخرافة والشعوذة، وغير ذلك .

وهذا يؤكد أهمية الصلة بالولاة والأمراء والتواصي معهم بالحق ما أمكن ذلك .

وقد قل تداول رسائل الشيخ وكتبه وآرائه فترة طويلة بعد موته. وقلت الإفادة منها، وبقيت الأفكار والمذاهب التي كان الشيخ يكافحها مستمرة مؤثرة في المجتمع .

٢- أن العالم وإن تميز بالقدرة الفائقة على نقد الفكر المخالف، وبيان الخطأ والانحراف بالدليل والبرهان، فإنه إذا لم تكن سلطة تدعمه وتسانده لن يكون لقدراته ومواهبه الأثر المرجو في إحداث التغيير المنشود .

الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

واجه الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب واقعا فيه انحراف عقدي تتفاوت درجاته من بلد لآخر، وقد كان جهده المشكور وعمله المشهود في حماية المجتمع من مظاهر الانحراف الفكري واضحا ملموسا، إذ أدرك رحمه الله أهمية النصرة السياسية للدين وأهله، فحرص على أن يكون معه في الدعوة صاحب ولاية ينصره للقيام بالدعوة وما تتطلبه .

ونجح أول الأمر في العيينة وقام بأعمال ملموسة لحماية المجتمع

من مظاهر الانحراف الفكري ومن ذلك إزالة المشاهد التي يحدث عندها صور من الغلو .

وبعد تخلي ابن معمر أمير العيينة عن نصرته وطلبه من الشيخ مغادرة العيينة، توجه للدرعية، ويسر الله له أميرا آخر نصره وثبت على نصرته وهو الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - مما أدى إلى قيام دولة للدعوة امتدت إلى ما بعد وفاته رحمه الله .

والمتأمل في منهج الإمام المجدد تتضح له حكمة الإمام وبعد نظره حيث حرص على وجود سلطة تدعم الدعوة وتؤيدها .

وأما جهود الشيخ في مواجهة الانحراف الفكري فأشهر من أن تذكر ولكن سألخص طرفاً منها فمن ذلك :

أ- اعتناؤه بتأليف كتاب يعنى بتصحيح تلك الانحرافات السائدة في البيئة التي وجه الدعوة إليها .

ب- عنايته في التعليم والدعوة بالتوحيد وتصحيح العقيدة .

ج- حرصه الشديد على إيجاد طلبة علم ، يقومون بتبليغ العلم والدعوة .

د- عنايته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

هـ- إزالته للمشاهد الشركية .

و- مواجهته الحازمة لأي انحراف فكري وتصديه له، وكشفه، ورد شبهات أهله .

ز - قوة حجته وحسن جداله بالحق مع المخالفين للعقيدة الصحيحة .

الفصل الثالث: سبل حماية المجتمع من الانحراف الفكري في العصر الحاضر

تمهيد في الأسس المنهجية للوقاية : قبل البدء في الحديث عن الأساليب الوقائية والعلاجية لابد من بيان الأسس المنهجية التي لابد من التزامها لمواجهة الانحراف الفكري والتصدي له حتى تكون هذه المواجهة مفيدة ومؤثرة بإذن الله والأسس المقصودة هي :

أولاً: التزام الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة : هو الأساس العاصم من الانحراف الفكري في الأمة على المستوى الفردي والجماعي، وذلك بدلالة الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان على ذلك، قال تعالى: ﴿ **الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢** ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ** ﴾[2]، أما دلالة السنة على هذه الحقيقة فواضحة من خلال الأحاديث الكثيرة الحاضة على التزام الوحيين والاستمساك بهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا**

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ١، ٢ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٩ .

عليها بالنواجذ))[١]. وأقوال الصحابة رضي الله عنهم كثيرة في هذا منها القول المأثور عن الصحابيين الجليلين عمر بن الخطاب وعبدالله ابن مسعود قالا: إنما هما اثنتان الكتاب والهدي فخير الكتب كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم [٢].

ولو قدر اتفاق المنتسبين للعلم الشرعي والدعوة والإرشاد في كافة البلاد الإسلامية على التزام هذا الأساس، التزاما صادقا نابعا من اقتناع جازم، لقل الانحراف الفكري خصوصاً شيئا فشيئا إلى أن يذهب بالكلية، غير أن هذا غير متصور واقعا في الأمة كلها، لأنه مخالف لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من سلوك أمته مسلك الأمم السابقة في الافتراق عن المنهج الصحيح بقوله: ((**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة**))[٣]، ولكن من الممكن حصوله في بلد دون آخر وفي طائفة من الأمة لا في جميعها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((**لا تزال طائفة من أمتي على الحق**)) [٤]. الحديث

ولذلك فإنه لا سلامة من الانحراف عن الطريق المستقيم إلا

---

(١) رواه الترمذي في كتاب السنة باب في لزوم السنة رقم الحديث ٢٩٩١ .

(٢) الشاطبي، الاعتصام ٦٩/١ .

(٣) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ماجاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث ٢٥٦٤، وقال حديث حسن، ورواه أصحاب السنن .

(٤) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، قول النبي: **لاتزال** .. رقم الحديث ٦٧٦٧، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم : **لا تزال طائفة** .. برقم : ١٩٢٠ .

باتباع هذا المسلك العظيم ، ولا يمكن أن تكون طائفة على الحق ما لم تلزم هذا الأصل علما وعملا فهما وسلوكا .

ثانياً: العناية بالعلم الشرعي فهو من أهم طرق الوقاية من الانحراف الفكري، وضعف العلم وذهاب العلماء من أعظم أسباب الانحراف، كما دلت على ذلك السنة المطهرة بقوله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**))[1].

فهذا الحديث يؤكد أهمية وجود العلماء كضمانة للاستقامة على الحق، وأن فقدهم سبب عظيم من أسباب انحراف الناس وضلالهم، ولا ريب أن هذا يؤكد ضرورة العناية بالعلم الشرعي واستمرار وجود العلماء في الأمة، واستمرار وجود من يأخذ عنهم ويتتلمذ عليهم، ليكون خليفة لهم، وقد كان هذا بحمد الله مستمرا في الأمة الإسلامية طوال قرون، وإن ضعف الالتزام به في بعض الأزمنة والأمكنة وفي بعض الأحوال .

وقد نبه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى أهمية العلم وكونه مضادا لمظاهر الانحراف وعاملا من عوامل

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم الحديث ٩٨، ومسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل رقم ٢٦٧٣.

الثبات على الحق فقال : (عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق)[1].

ومما يؤكد أهمية العلم كضمانة حقيقية ضد الانحراف ما نلحظه في الواقع من أنه كلما قل العلم بالكتاب الكريم والسنة المطهرة في مجتمع ما كلما بدت ظواهر الانحراف الفكري جلية واضحة وأبرزها الانحراف الفكري فنجد أن البيئات التي يقل فيها العلم يسهل على الدعوات المضللة والأفكار المنحرفة أن تجد فيها قبولا وتأثرا بها، وعلى العكس من ذلك البيئات التي ينتشر فيها العلم الشرعي وهذا ملاحظ في واقع الأمة فإن البيئات التي لم ينتشر فيها العلم الشرعي تكثر فيها البدع والانحرافات .

المبحث الأول : الأساليب العملية لعلاج الانحراف الفكري وفيه ستة مطالب وهي :

المطلب الأول : الحكم بما أنزل الله في جميع جوانب الحياة :

لا ريب أن الحكم بما أنزل الله في جميع جوانب الحياة يحقق للمجتمع صلاحا في عقيدته، وتحقيقا لإيمانه قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ**

(١) الشاطبي، الاعتصام ١/٧٩ .

حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾[١]، فالمجتمع المحكوم بشرع الله أقرب إلى التمسك بالدين والمحافظة عليه والتمسك بثوابته، وعدم الانحراف عنه، وكلما كان المجتمع محكوما بالشرع متحاكماً إليه، قلت فيه دواعي الانحراف وأسبابه .وإن كان ذلك لا يختفي مطلقاً، ولكن تكون نسبته أقل، كما هو الشأن في عصر علي رضي الله عنه حيث ظهرت الخوارج والرافضة، مع أن المجتمع كان محكوما بالشرع ومتحاكماً إليه .

إذ المجتمع المسلم المحكوم بالشرع لا يسمح بالدعوة إلى العقائد الضالة والمذاهب المنحرفة، والفكر المناويء للحق والمعادي له، فيقل تبعا لذلك من يبحث عنها ويعتنقها .

وكذلك مصادر هذه الأفكار والعقائد تكون معدومة أو لا يتسع نطاق تداولها فيقل تبعا لذلك التأثر بها .

ويبدو مثالا ظاهراً في هذا العصر وشاهداً على هذه الحقيقة مجتمع المملكة العربية السعودية نموذجاً حياً لهذا النوع من المجتمعات التي تقل فيها الأفكار المنحرفة، وإن لم تكن معدومة . وذلك بسبب منع الدولة للأفكار المنحرفة والمذاهب الضالة مما انعكس إيجابا على الواقع الفكري بشكل عام وذلك إلى وقت قريب .

وقد يقول قائل ألم تجد الأفكار الضالة طريقها للشباب في

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٥ .

هذه البلاد سواء في فترة الثمانينات الهجرية حين كانت الأفكار الاشتراكية والشيوعية والبعثية والقومية تجد رواجاً بين بعض شباب المملكة ؟؟

أو أفكار الغلو والعنف التي تأثر بها بعض شبابنا في هذه الأوقات والتي نتج عنها القيام بأعمال التفجير والقتل ؟؟

فأقول: إن هذه الأفكار التي تسربت إلينا من البلاد الأخرى لم تصبح سائدة ولا منتشرة على نحو عام، بل إن متلقيها والمتأثرين بها قلة، بالنسبة لمجموع سكان هذه البلاد .

المطلب الثاني : بناء المساجد وإقامة شعائر الله

بناء المساجد والعناية بها من أسباب الوقاية من الانحراف الفكري إذا أقيمت رسالة المسجد على الوجه المطلوب، فإن خطبة الجمعة، ودروس العلم في المسجد، والكلمات التي تلقى أدبار الصلوات لها أبلغ الأثر بإذن الله في حفظ المجتمع ووقايته من الفكر المنحرف، وكان المسجد في العهد النبوي مصدر الاعتقاد الصحيح والفكر السليم، وفي نفس الوقت قلعة التحصين تجاه الاعتقادات الباطلة والأفكار المنحرفة، ففيه تتلى آيات الله التي تبين زيف شبهات اليهود، وشكوك المنافقين .ولا يزال المسجد المكان المناسب حقا للتصدي للفكر المنحرف وكشف زيفه وإزهاق باطله لثقة المسلمين بعلمائهم وأئمتهم . ولذا كان واجبا على المسلمين، سيما أهل العلم والسلطة العناية برسالة المسجد، وتفعيل دوره بالدروس، والدورات،

والكلمات والبرامج النافعة، باستمرار وتجديد .

المطلب الثالث : إزالة مشاهد الشرك والبدع

ومن أساليب الوقاية من الانحراف الفكري إزالة مشاهد الشرك والبدع، إذ من المجرب في الواقع أن إزالتها تضعف التعلق بها وتزيل تأثيرها في النفوس، ولذا جاء الأمر بطمس الصور وتسوية القبور المشرفة، وقد حرص علماء السنة على فعل ذلك إذا وفقوا بسلطة تعينهم على إزالتها .

ويُعَدُّ ما قام به أئمة الدعوة في نجد من إزالة القباب على القبور، وتسويتها من الأعمال التي قللت التأثر بها في البيئة التي خضعت لسلطان دولة الدعوة، و أدت إلى نسيانها بعد ذلك .

المطلب الرابع : منع الاحتفالات المبتدعة

إن الاحتفال بالمناسبات البدعية من عوامل استمرار الانحراف الفكري لأن كثيرا من هذه الاحتفالات ،كالاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء لاتخلو من انحرافات عقدية كالاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة بالأولياء والصالحين، وتداول الخرافات، والأحاديث الموضوعة، وغيرذلك من أنواع الانحراف . فمنع إقامة هذه الاحتفالات وبيان بدعيتها وبطلان مستندها، مما يضعف عوامل الانحراف الفكري بالتدريج .وقد أكد كثير من علماء الإسلام على بدعية هذه الاحتفالات ونبهوا لما فيها من خطر على الدين وما

يحدث في بعضها من خطر على الأخلاق والقيم كموالد من يسمونهم الأولياء .

المطلب الخامس : حماية المجتمع من المؤثرات الداخلية والخارجية

يرى بعض الباحثين والكتاب أن هذا العصر ليس عصر الحجب والمنع، لإمكان الناس أن يتجاوزوا طرق الحجب والمنع، وأن كل ممنوع مرغوب وهذا القول له جانب من الصحة في الواقع، لكن لايصح العمل به وتقريره مطلقا، لأن ماحرمه الله من المحرمات ومايؤدي إليها يجب التزام تحريمه ومنعه، كالدعوة للإلحاد والكفر وتزيينه للناس، أو الدعوة لتعاطي المؤثرات الضارة كالمخدرات، فلا وجه لقائل أن يقول إن المنع سيؤدي إلى تتبع الناس لها، وإن كان بعض هذا قد يكون صحيحا، لكن هذا ينسحب على كثير من المحرمات والممنوعات .فلا تسوغ الدعوة لترك المحرمات بمثل هذا القول الباطل .

وإذا كان بعض الناس قد يتجاوز الممنوع ويتمكن من الحصول عليه، فليس هذا حجة لإباحته والسماح بتداوله .

المطلب السادس : القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يتصور بعض الناس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكريختص بالأمور العملية، وهذا فهم قاصر لهذا المبدأ العظيم، ففي مجال العقيدة والفكر للأمر والنهي مجاله، فقد ورد النهي عن التفكر في ذات

الله، وورد النهي عن الاستمرار في التساؤل عن الخلق، في حديث عروة بن الزبير قال أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**))[١]، وهذا دليل على أن جانب الاعتقاد والفكر يتناوله الأمر والنهي، ولذا فإن انتشار الأمر بالحق والنهي عن الباطل من المعتقدات والأفكار يقلل من الانحراف عن الحق والتأثر بالباطل وأهله .

ومما يدخل في ذلك النهي عن القراءة في كتب الباطل والضلال، ولاسيما من قبل من يخشى عليهم التأثر بها ممن قل علمه وتمييزه .

وقد نهى الأئمة عن كل مايؤدي إلى فساد الاعتقاد وضلال الفكر، ومن ذلك نهي الأئمة عن علم الكلام . ومخالطة أهل البدع والضلالات . فالعمل بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبيل المؤمنين، وهو سفينة النجاة للمجتمع المسلم من الانحراف بأنواعه بإذن الله .

المبحث الثاني : الأساليب الوقائية للوقاية من الانحراف وفيه أربعة مطالب وهي :

المطلب الأول : العناية بتأصيل ونشر العقيدة الصحيحة في مختلف مجالات التوجيه إن العناية بتأصيل وترسيخ العقيدة الصحيحة

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣٠٣٤ .

في نفوس أبناء المسلمين من أعظم وسائل الوقاية من الانحراف الفكري ومن طرق ذلك :

١- العناية بتفسير القرآن الكريم وبيان معانيه على نحو يراعي مستوى الدارسين بحسب المراحل العمرية، إذ من المعلوم عناية المسلمين في كثير من البلاد الإسلامية بتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم، حتى في البلاد التي لا يتكلم أهلها اللغة العربية، وهذا شيء محمود، إلاّ أن العناية بفهم القرآن وتدبره ضعيفة جدا إن لم تكن معدومة، وقد التقيت بعدد من أبناء المسلمين في بعض دول إفريقيا وآسيا ممن يحفظ بعضهم القرآن كاملا، أو كثيرا من سوره، وبسؤالهم عن بعض المعاني وجدتهم لا يفقهون شيئا منها البتة، وهذا ولا شك قصور في هذا التعليم الذي يتلقونه إذ لا يتأثرون بهذا القرآن، ولا يتربون على ما فيه من الاعتقاد والعمل، وهذا موجود حتى في الدول العربية أيضاً، وهذا ولاشك أمر يحتاج إلى نظر ومراجعة لتغيير طريقة تعليم القرآن الكريم، لأن الطالب إذا لم يفهم القرآن الكريم ويتدبره ويفهم ما فيه من العقيدة الصحيحة فإنه لن يكون مؤثرا في مناعته وحصانته إزاء دعاة الباطل والضلال .

٢- العناية بتدريس العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد الخالص من شوائب الشرك والبدع والخرافات، وتعميق وترسيخ هذه العقيدة بشتى السبل العلمية لأن المسلم ذا العقيدة الصحيحة سد

منيع أمام دعاة الانحراف الفكري، ومنهم دعاة التنصير وغيره من العقائد الفاسدة، ومما يؤكد ذلك في الواقع أن المنصرين في دول الخليج بالرغم مما بذلوه من جهود وأموال ووقت طويل في محاولات التنصير، لم ينجحوا في تنصير عدد يكافئ الجهود التي بذلوها والمال الذي أنفقوه، إذ يذكر المؤرخون المتابعون لحركة التنصير أنه لم يتنصر في منطقةالخليج بأسرها سوى أربعة أشخاص(١)، غير أن أحد الباحثين في هذا المجال ذكر عددا أكبر لمن تنصروا في البحرين وحدها منذ بداية عمل المنصرين فيها في نهاية القرن الثالث عشر الهجري إلى وقت كتابة البحث عام ١٤١٤هـ حيث ذكر سبعة عشر فردا بين نساء ورجال غير أن معظمهم من اللقطاء اللذين ربتهم الكنائس وهم صغار، وبعضهم من النساء الجاهلات الفقيرات جدا احتجن لمعونة المنصرين وتابعتهم على دينهم(٢)، مقارنة بما بذل من جهود كبيرة استمرت لأكثر من نصف قرن، وسبب ذلك وضوح العقيدة وسلامتها لدى السكان، بينما لاقت الجهود التنصيرية نجاحا واضحا في البلاد التي يكثر فيها الجهل بالدين مثل بعض الجزر الإندونيسية التي يغلب على أهلها الجهل بالعقيدة الصحيحة، ويكون

---

(١) ينظر : عبدالله السبيعي، التنصير في الجزيرة العربية، مجلة الدارة، وعبد المالك خلف التميمي، التبشير في منطقة الخليج العربي ص ٢٢٦، مؤسسة الكميل الكويت ط ٢ ١٩٨٨م .

(٢) إبراهيم الخدري، التنصير في البحرين ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢٣ .

انتسابهم إلى دين الإسلام انتسابا شكليا، وينبغي أن يكون هذا التعليم للتفسير والعقيدة شاملا لكل مجالات التوجيه والتعليم ومن ذلك المساجد، والمدارس، والوسائل الإعلامية، ودورالنشر .

حماية الأطفال من المؤثرات الفكرية السيئة :

من صور التأثير السلبي على الأطفال التأثير عبر الألعاب الإلكترونية التي انتشرت بكثافة وتنوع وإغراء شديد للناشئة ذكورا وإناثاً .

و لم يكتف صانعو تلك الألعاب ومصدروها بالتأثير على السلوك العملي للأطفال عبر ألعابهم بل انتقلوا إلى مرحلة أكثر خطورة حينما اتجهوا للتأثير على الفكر والمعتقد . وعلى سبيل المثال (فقد لفت نظر أبوين متابعة ولدهما للعبة من تلك الألعاب بشغف أدى إلى شبه عزلة لأكثر من يوم ،وحين أعلن الولد بصوت عال فوزه في اللعبة توجه والداه إلى الشاشة لمشاهدة ما تم إنجازه، وإذا بالنتيجة تصيبهم بصدمة شديدة، فقد وجدوا نتيجة لم تكن ضمن حساباتهم، قلعة كبيرة جداً، ارتفع فوقها عدد كبير من الصلبان، وقصاصات الورق الملون تنزل من السماء بكثافة إعلاناً للنصر الكبير الذي أحرزه هذا الفتى المسلم؛ وهو رفعه لراية الصليب عالياً، وعبارة في الأسفل كتبت باللغة الإنجليزية بشكل ملون وجميل تقول له بكل امتنان: أنت فائز، لقد ربحت، لقد وصلت إلى الهدف).

لكن الحقيقة أن أصحاب هذه التقنية هم الذين وصلوا إلى الهدف، الذي سعوا هم لتحقيقه سنوات طويلة، حققوه من خلال فلذات الأكباد، ارتفع الصليب حقيقة في كثير من البيوت المسلمة، قد لا يكون ارتفاعه ملموساً في البيوت؛ ولكن رفع النشء له من خلال الألعاب الإلكترونية له دلالات خطيرة؛ فقد تكون غفلتنا عن تفسيرها تعطيها شيئاً من البساطة، ولكن السبب الذي جعلهم يروجون لمثل هذه الألعاب والنتائج دون غيرها يعطينا دافعاً قوياً للبحث الجاد في الأسباب والملابسات ومن ثم النتائج، فالمجال واسع أمامهم لصنع ألعاب أخرى في أي شيء آخر، ولكنهم يريدون هذه اللعبة بالذات، ويريدون الوصول إلى هذه النتيجة تماماً، ويعملون على غرس مبادئ معينة في النفوس تسهم بشكل كبير في توصيل أفكارهم إلى أبنائنا بالرغم من كل شئ .

وهذه الألعاب الإلكترونية التي غزت أسواق المسلمين بأفكارها الخطيرة تحتاج إلى وقفة صارمة من الجميع، ويجب أن تتكاتف الجهود للوقوف أمام غزوها لعقول أبنائنا؛ حيث إن المسؤولية منوطة بعدة جهات وليست جهة واحدة، ولنذكر الجهات على حسب تسلسل المسؤولية:

أ - الجهات الرقابية المشرفة على التجارة والاستيراد : ومهمتها أن تضع مواصفات وشروطا لاستيراد الألعاب ينص فيها على منع الألعاب ذات المضامين المفسدة للعقيدة والأخلاق .

ومن المعلوم أن ثمة منظمات خارج العالم الإسلامي ترفع قضايا ضد الشركات المصنِّعة تصل أحياناً إلى تعويضات بملايين الدولارات، خاصة عندما يتضرر أبناؤها من أفكارها، وطريقة تصميمها[1].

فكيف لا يعنى المسلمون بما يؤثر على أبنائهم، ويدفعون الضرر الناتج عن هذه الألعاب وذلك بمنع دخول الألعاب التي تروج للعنف، أو تتضمن دعوة أو تحسيناً لأفكار اليهود والنصارى، أو غيرهم من أصحاب العقائد المنحرفة والأفكار الضالة، أو التي تربي النشء على مظاهر العري والانحلال .

ب - دور الوالدين يأتي الدور الأهم وهو دور الأب الذي يجب عليه أن يكون متابعاً لما يشتريه ابنه؛ حيث يكون عوناً له - بعد الله - على الانتقاء بشكل يوفر له بعض المتعة، ويبعد عنه كثيرا من الشرور.

ج - المربين الأفاضل من معلمين وموجهين، حيث إن لكلامهم تأثيراً قوياً على الأبناء، خاصة عندما يتحدثون عن الأضرار التي يتعرض لها الطلاب من جراء البقاء ساعات طويلة أمام الكومبيوتر للعب، فهناك أضرار صحية، وأضرار أخرى أكثر أهمية وهي إضاعة أوقات ثمينة من حياة الإنسان المسلم، بالإضافة إلى تلقي كثير من الأفكار، ورؤية صور تؤثر على دين المرء دون أن يشعر .

---

(١) قبل أن يرفع أبناؤنا الصليب! هيا الرشيد، مقال منشور بموقع الإسلام اليوم، بتاريخ ١٩/٤/١٤٢٥هـ .

د - دور الإعلام فله أثر مهم في هذا المجال؛ فقد يكون الآباء والمعلمون في غفلة عن المخاطر، ودور الإعلام هنا الحديث عنها لبيان الطريقة المناسبة للتعامل مع هذه المشكلة، والعمل الذي يجب أن يقوم به كل مسؤول حسب قدرته، وقد يكون للحديث عن الأثر السلبي الذي يعود على النشء من جراء هذه الألعاب هو الطريق الأمثل لإقناع الآباء والمعلمين بخطورة الوضع، وأهمية التصدي لهذه الظاهرة .

المطلب الثاني: منع المبطلين من نشر مذاهبهم الضالة وعقائدهم المنحرفة والتحذير منها والرد على أصحابها :

لا ريب أن من عوامل سلامة المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، سلامته من دعاة الضلال والانحراف، ذلك أن وجودهم وكثرتهم وإتاحة الفرصة لهم لنشر ضلالاتهم وانحرافاتهم مؤذن بالخطر، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم منهم ووصفهم بأنهم دعاة على أبواب جهنم . فمنعهم من نشر مذاهبهم المنحرفة وآرائهم المشككة، وشبهاتهم المضللة من أعظم العون على الثبات على الحق .

وإن كان هذا يكاد يكون شبه معدوم في هذا الوقت الذي تكالبت مضلات الفتن على المجتمعات المسلمة من داخلها وخارجها عبر القنوات الفضائية المتعددة والمتنوعة . وهو ما تعتذر به الجهات المسئولة في البلدان المحافظة وتنفي به إمكان المنع أو السيطرة . غير أننا نلاحظ أنه حينما يكون الأمر متعلقا بمؤثر سياسي فإن أمر المنع والحجب يتيسر بكل سهولة ؟!!

ولعل من طرق نشر البدع والضلالات في هذا الوقت عبر القنوات الفضائية، البرامج الحوارية التي تستهدف جذب المشاهدين وإثارتهم عن طريق" المناظرة في قضية مَّا بين اتجاهين متعاكسين في المبدأ والفكر والرأي، حيث يؤتى بسُنِّي وبدعي، وإسلامي وعلماني ؛ فتُلقى الشبه على الناس على شكل حوار يُخَيَّلُ للمشاهد أنه مثمر هادف يثري المشاهد بالمعلومات والمعارف؛ فيشككون في العقيدة والشريعة بطريقة عجيبة ملتوية، فيها إثارة واستمتاع للمشاهد. وليست الخطورة في هذا الأمر، فإن الذرة لا تجر الصخرة، والحق لا يخشى الباطل بل يدمغه فإذا هو زاهق؛ ولكن البلية والرزية تكمن في أمور وراء ذلك؛ من أدركها وعلم غورها أدرك خطورتها. فمن ذلك: أن الشخصية الإسلامية المختارة قد تكون ليست مؤهلة شرعياً لهذه المناظرة فينقصها العلم بالشريعة أصولاً وفروعاً، وينقصها العلم بحال المُناظِر ومعرفة زيف معتقده وضلال منهجه، وقد تفتقر هذه الشخصية إلى الفصاحة والبيان والحجة الدامغة[(١)]، وقد كان السلف "ينهون عن المناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل[(٢)]، ويشتد الأمر خطورة في أنه قد يواجه شخصية منحرفة متمرسة على إلقاء الشبه، وتجيد فن

(١) مبارك عامر بقنة، اتجاهين متعاكسين، مجلة البيان، عدد ١٤٠ ص ١٢٨.

(٢) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ٧/ ١٧٣ .

المـراوغة واللعب بالألفاظ. قال علي بن حرب الموصلي: "كل صاحب هـوى يكـذب ولا يـبالي[(١)]، فيظهر الحق باطلاً، ويقلب الباطل حقاً، فيُضل الناس ويَضل .

ومـن أخطـار هـذا الـنوع مـن البرامج : أن فيها ترويجاً للبدعة والشبه الشيطانية، فيسمعها الناس فيزينها الشيطان في قلوبهم، وينميها في عقولهـم، وقـد لا يجـدون مـن يبين لهم فساد هذه الشبه وبطلانها، فتـتعلق بأفـئدتهم فيتشربونها لجهلهم بدينهم، فيفسد القلب.وقد ذكر الغـزالي في خطـر مـناظرة أهـل الـبدع والكـلام بمـا فـيها مـن : إثارة الشـبهات، وتحـريك العقـائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، وذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه .

ولــه ضـرر آخر وهو تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيتها في صـدورهم بحيـث تنبعـث دواعـيهم، ويشـتد حرصـهم على الإصرار علـيها". ومن المحال لمن عاش في دهاليز الظلمة والحيرة أن يحصل من كلامـه الهدى واليقين؛ فما عندهم إلا لحم جمل غث على رأس جبل وعـر، لا سـهل فيرتقـى، ولا سمـين فينـتقى، فـأقوالهم تسـقم القلب، وتقـتل السـنن وتـزاحمها "فالشـرائع أغذيـة القلـوب، فمـتى اغـتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن"[(٢)].

(١) المعلمي، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ١ /٤٤ .

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين ١/ ١٣٦ .

فهـذه الـبرامج وأمـثالها مـا هـي إلا بـاب لترويـج الـبدعة، وتشكيك دهماء الناس فيما عندهم بأسلوب المكر والحيل مدعين أن هـذه "حرية الفكر" فلا نحجر على الناس عقولهم؛ فكل شخص يأتي بما عنده ويناقش ويجادل، وليس في هذا مخالفة شرعية؛ فما على من أراد أن ينشـر الفسـاد ويضـل الـناس إلا أن يلبسـه ألفاظـاً مزخرفة فـيجعله تحـت مسمـى: "حـرية الفكـر" أو "الحرية الشخصية" وما أشبه ذلك من ألفاظ .

المطلـب الثالـث: بـيان وكشـف العقـائد والمذاهـب الـباطلة والأساليب المسببة للانحراف الفكري والتصدي لها :

يعـد التحصين الفردي تجاه صور الا نحراف الفكري ووسائله ومسـبباته أهـم سـبل الوقايـة مـن الانحـراف، وكمـا سبقت الإشارة لذلك فيما مضى .

ولعـل مـن سـبل التحصـين المؤثـرة الفاعلـة دحـض الضـلالات الفكـرية، وكشـف الشـبهات وتعـرية المذاهـب الـباطلة، وكشـف زيف العقـائد الضـالة . وذلـك ببيانٍ لايـدع شـبهة إلاّ كشـفها، ولاحجة إلاّ أجـاب عنها . ولنا في كتاب ربنا القرآن الكريم أسوة فقد حكى العقائد الضالة وبين المذاهب الباطلة، ودحض حججها، وكشف زيفها .

المطلـب الـرابع: التصـدي لوسـائل الـتأثير الفكـري الـنظرية والعملية :

الوسـائل الـتي تـتم بهـا عملـية الـتأثير الفكـري السلبي متنوعة

ومتعددة ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

الأول: وسائل التأثير النظرية والمقصود بها الكتب والنشرات والصحف والمجلات .

والثاني: وسائل التأثير العملية: والمقصود بها تحرك المبطلين للدعوة لمذاهبهم عملياً عبر الاتصال الشخصي والحوار والجدل والتدريس وغير ذلك من الوسائل كالتطبيب وأعمال الإغاثة .

وإذا أخذنا التنصير كنموذج تطبيقي فإن من المعلوم أن للنصارى جهوداً مكثفة في هذه المجالات حققوا بها نجاحاً في بعض البلاد الإسلامية التي يغلب عليها الجهل، فكيف يمكن التصدي للفكر التنصيري وما يسعى لنشره من عقائد باطلة وأفكار مضللة تجاه دين الإسلام ؟

إن أمامنا مجالاً رحبا للعمل المتنوع للتصدي والمواجهة ومما يمكن اقتراحه في هذا المجال :

في مجال الإعلام والتوجيه :

المواجهة الإعلامية وأهميتها في التحصين الفكري :

إن توجه أصحاب الأديان المحرفة والفرق المنحرفة والمذاهب الضالة إلى امتلاك القنوات التلفزيونية والإذاعية وتوجيهها لشتى بقاع العالم الإسلامي عبر البث المباشر بقصد زعزعة عقيدته وردة أهله عن دينهم، يوجب ولا ريب البحث عن وسائل الوقاية وطرقها، لا سيما

مع تصدر البث الفضائي وهيمنته على وسائل التأثير والتربية من خلال الأسرة والمدرسة ومكان العبادة، ومع تطور طرق ووسائل هذا البث وتجدد أجهزته مما يحول دون التحكم فيه بالمنع أو التصفية، وما يتوقع من تأثير سيئ لهذه القنوات على ناشئة المسلمين في الجانب الفكري، ومن صور ذلك في الواقع المعاش ما تبثه بعض تلك القنوات دعايات نصرانية صريحة أو مستترة، وما يبثه بعضها من أرقام هاتفية للكهانة، وما أجرته بعضها من مقابلات ولقاءات مع بعض السحرة، وما تبثه بعضها من برامج تشكك في بعض مسائل العقيدة الإسلامية فإن مما يقترح للحماية من هذه الوسيلة على مستوى الأفراد والمؤسسات :

١-توسيع النشاط الإعلامي الإسلامي عن طريق طباعة الكتب والأشرطة والكتيبات والنشرات بشتى اللغات ولكافة الطبقات والمستويات وفي جميع الموضوعات بل وشراء واستئجار الإذاعات والتلفزة للدعوة لدين الإسلام .

٢- توعية المسلمين بخطر التنصير على مستوى العامة ومن ذلك مثلاً :

-إعداد الخطب عن طرق التنصير بين المسلمين ووسائله الجديدة .

-إعداد مطويات مختصرة بلغات شتى عن التنصير وخطره .

دعوة بعض المتهمين بموضوع التنصير إلى لقاءات مع الطلاب

ومع المثقفين ومع أساتذة الجامعات ومع عامة المسلمين لبيان مخططات النصارى، ويضاف إلى ذلك إعداد المقالات والملاحق الصحفية عن هذا الموضوع .

من وسائل الدفاع والوقاية المهمة (الهجوم) ومن طرق ذلك بيان ضلال النصارى وفساد معتقدهم في موقفهم من حقائق العلم بوسائل وطرق متعددة، منها على سبيل المثال: إعداد فيلم أو برنامج حاسوبي يحكي قصص محاكم التفتيش وتعذيب رجال الدين النصارى لمخالفيهم في الرأي، وموقفهم من العلم والمنتسبين إليه ويمكن أن يوجد بالفعل أفلام غربية تحكي ذلك فترويجها ونشرها مع الترجمة والتعليق يعطي صورة حقيقية لدين النصارى المحرف وممارسات رجال دينهم الإجرامية المؤلمة .

وفي مجال التعليم يمكن اتخاذ الخطوات التالية :

١-تيسير المنح الدراسية للطلاب المسلمين في الجامعات الإسلامية مع الحرص على تأهيلهم ليعودوا دعاة إلى الله عزوجل من خلال جهد دعوي مكثف .

إن مما يؤسف له أن ينجح النصارى في استقدام أعداد كبيرة من أبناء المسلمين ويربوهم بل وينفقوا عليهم من حساب الكنيسة في حين أن أهل الجامعات الإسلامية في الدول القادرة لا يستقبلون من هؤلاء إلا القليل وحتى الحالات التي يستقبل فيها بعض هؤلاء الطلاب فإنهم لا يلقون العناية اللازمة .

٢-تأسيس الكليات والمعاهد والمدارس الأهلية الخيرية التي تعنى بالتربية الإسلامية ولا سيما في البلاد التي تفتقد ذلك وإعداد الأجيال إعداداً صحيحاً وتخريج الدعاة إلى الله تعالى مع العناية بالمستوى العلمي والأكاديمي الذي تظهر به هذه المدارس . إن من الملاحظ أن الكثير من أولاد الأكابر والمسئولين يذهبون إلى الكليات والجامعات والمدارس الأجنبية في كثير من بلاد المسلمين بحجة أن هذه المدارس أكثر كفاءة وأنها تتوفر فيها الوسائل التعليمية والمختبرات ووسائل الترفيه ما لا يتوفر في غيرها وهذه الأمور ليست حكراً على طبقة بعينها بل يمكن أن تتوافر في مدارس إسلامية خيرية أهلية وتكون محاضن لأولاد المسلمين .

وفي المقابل يجب :

ضبط إنشاء المدارس الأجنبية في بلاد الإسلام، وفي حالة افتتاحها فيجب إخضاعها للرقابة الصارمة والإشراف المستمر من الجهات التعليمية، والحيلولة دون دخول أولاد المسلمين إلى تلك المدارس، ومنع تلك المدارس والقائمين عليها من كل ما يخالف الإسلام كالرقص والاختلاط والملابس الفاضحة والاحتفال بالأعياد البدعية والشركية، وضرورة تخصيص دروس في هذه المدارس للإسلام يتولاها الأكفاء، مع العناية بالمناهج والكتب في هذه المدارس لئلا تتضمن طعناً في الإسلام أو تشويها لحقيقته، أو الدعوة لما يضاده .

ومما يقترح الأخذ به في مناهج التعليم الخاص بالمسلمين :

١-تعزيز التربية الإيمانية في سن الطفولة والمراهقة المبكرة بطرق تربوية تعتمد الإقناع، لترسيخ حقائق الإيمان وتثبيتها في النفوس، وبث روح البغض والنفرة مما يناقض دين الإسلام من المعتقدات والأفكار والعبادات والسلوكيات والأشخاص والدول، وذلك ما دام النشء في مرحلة التأثير الممكن وسيطرة الأسرة وتوجيهها، كما أن بث روح التوجس مما يدعو إليه الكفار في نفوس الناشئة، وتعزيز ذلك ببيان ما فعله الكفار بالمسلمين من الأذى والتعذيب والقتل على مر العصور يوجد شيئاً من الحصانة في نفس الناشئة تجاه ما يأتي من الكفار .

٢-العناية بطبع ونشر الكتب الإسلامية المتخصصة في كشف ضلالات النصارى في دينهم، وخاصة الكتب المختصرة، وتوزيعها ونشرها بين المسلمين وخاصة الذين يحتكون بالنصارى في أماكن العمل .

٣-توعية المبتعثين للدراسة أو العمل في الدول النصرانية بالمخاطر الدينية والفكرية المتوقعة وسائل أهل الأهواء في نشر مذاهبهم [1] .

٤-اعتماد المنهج التربوي القائم على الحوار والمصاحب وبيان الحقائق للناشئة، والاستفادة من وسائل الإعلام في ذلك .

---

(١) سبل مواجهة التنصير مقال في مجلة الفرقان .

كما أن من المهم أن تنشأ في كل بلد إسلامي :

١-لجنة أو جمعية لدراسة موضوع التنصير ومتابعته وإعداد الدراسات والتقارير بشأنه وحفظ الوثائق المعلقة به وإصدار النشرات الدورية التي تلاحق كل جديد في هذا المجال .

٢-أن تتبنى منظمة المؤتمر الإسلامي، أو رابطة العالم الإسلامي الدعوة إلى قيام مؤتمر إسلامي عالمي عام يناقش موضوع التنصير ويكون دورياً سنوياً أو كل أربع أو خمس سنوات يناقش موضوع التنصير من جميع جوانبه وتقدم فيه الدراسات والبحوث والاقتراحات [١].

وعلى مستوى الدول التي لا يوجد بها مواطنون نصارى يمكن إصدار أنظمة صارمة تتعلق بالجرائم الماسة بدين الإسلام، تتضمن عقوبات رادعة لمن يمارس أعمال التنصير في البيئات الإسلامية[٢]، وقد يكون هذا في المستقبل مما يتعارض مع الاتفاقيات الدولية، وقد يحتج النصارى بسماحهم للمسلمين بالدعوة في بلادهم، وهنا يكون بتخصيص لجان فاعلة لمتابعة الأعمال التنصيرية والتصدي لها مباشرة وتقديم التوعية والإرشاد لمن يستهدفهم النصارى بالدعوة . والجد في نشر الكتب والنشرات، والأشرطة

---

(١) سلمان العودة، التنصير، بحث منشور بموقع صيد الفوائد .

(٢) ينظر: إبراهيم الخدري، التنصير في البحرين، ص ٥٢٩، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

الكاشفة لفساد دين النصارى، والاستفادة من النصارى الذين أسلموا ولا سيما من كان منهم رجل دين لبيان ما عليه النصارى من ضلال وفساد في الاعتقاد، وذلك في محاضرات ودروس ولقاءات عامة. وبرامج إعلامية متنوعة، مقروءة ومسموعة ومشاهدة .

٤-العناية بتوعية الجاليات المسلمة بدينها، وتقوية ارتباطها به عبر برامج منظمة مستمرة تقطع الطريق أمام المنصرين .

٥-منع استقدام المربيات النصرانيات في البيئات الإسلامية الخالصة وتوعية الحريصين على استقدامهن من الوجهاء والمسئولين الكبار والتجار بخطر أولئك المربيات، وتأكيد الاعتماد على المربيات المسلمات دون غيرهن .

الخاتمة :

من أبرز نتائج هذا البحث :

تميز المنهج القرآني في حماية المجتمع المسلم بالشمول المتمثل بتأصيل العقيدة الصحيحة لتأسيس الفكر السليم، وكشف الشبهات .

يستفاد من فعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الذي أمرنا باتباع سنته شأنه شأن الخلفاء الراشدين الثلاثة، أن لولي الأمر المسلم الحق أن يمنع من يخشى أن يحدث قوله وفكره انحرافاً فكرياً على المسلمين .

وربما كان من أسباب استقرار المجتمع المسلم في عهد هذا الخليفة

الراشد وعدم وجود حركات الخروج والتمرد والانحراف الفكري هو شدة عمر رضي الله عنه في الحق، وتلافيه لبوادر هذه الشرور من بداياتها .

مواجهة التنصير وغيره من الدعوات المضللة والأفكار الهدامة تكون بالحرص على التحصين الذاتي ونشر العقيدة الصحيحة، وبث العلم الشرعي .

وفي ختام هذا البحث أسأل الله عزوجل أن ينفع به، وأن يعفو عن التقصير والزلل إنه عفوكريم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .